وزارة التـــعليـم العـــالي والبـحـــث العـلـمي

جـــامعـــة أكـلـي مـحـند أولـــحـــاج – البويرة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية (تخصص فلسفة العلوم)

بـنـيـة المـعـرفة الـعـلـمـيـة عـنـد غاستون باشلار

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في فلسفة العلوم

إعداد الطالبتين:

أمينة زوار

كوثر زرقين

إشراف الأستاذ:

رابح بايو

السنة الجامعية:

1435-1436هـ/2014-2015م

كلمة شكر

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وأول من ينبغي علينا شكره في هذا المقام، الأستاذ المشرف

" بايو رابح".

كوثر، أمينة

إهداء

إنطلاقا من الآية الكرية:

" ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما واخفظ لهما جناح الذل من الرحمة

وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا".

من خلال هذا العمل أهدي لأمي التي كانت بمثابة شمعة تنير دربي،

حفظها الله، لم تبخل يوما بنصائحها.

و إلى أبي وهو مثلي الأعلى حفظه الله.

وإلى إخواني الذين أعتبرهم جدار أماني وثمار دارنا " مراد، نصر الدين"، أطال الله عمرهما.

إلى قرة عيني أختي الوحيدة" نبيلة"، وزوجها " محفوظ"، وإلى حبيب قلبي " علاء الدين".

كما أهديه إلى كل رفيقاتي " خيرة، إيمان، نعيمة ط، نعيمة م، حفيظة، نوارة".

و أهديه إلى رفيقتي في العمل " كوثر" وكل أفراد عائلتها.

كما أتمنى أن تكون هذه المذكرة همزة تواصل بيني وبين الدراسة ومفتاح للحياة العملية والشخصية، وبفضلها كونت

سيدة نفسي ومجتمعي.

أمينة.

إهداء

إلى جدتي الحبيبة أطال الله في عمرها
إلى التي كانت سندا لي في الحياة أمي الحبيبة
إلى أبي الذي تعب على إيصالي لطريق النجاح.حفظه الله.
إلى من تقاسموا معي رحم الأم وكانوا سندا لي في حياتي
إخوتي " وليد، سمير، تقي الدين"
" منال و حبيبة".
إلى زوجة أخي التي بمثابة أختي" ميسو"
إلى الكتاكيت الصغار" أنابيس، إلين و أنس".
إلى كل عائلة " العوبي".
إلى صديقتي " صفية، أمينة".
إلى من شاركتني هذا العمل " أمينة" وكل أفراد عائلتها.
إلى كل من تذكرهم قلبي ونسيهم قلمي.

حـــــــــــوثر.

مقـــدمة

مـــقـــــدمة:

لقد شكلت الثورات العلمية المعاصرة لا سيما في حقلي الفيزياء والرياضيات انقلابا ضخما ومنعطفا حاسما على مستوى الفكر العلمي والفلسفي على حد سواء، فقد اضطر العلماء إلى مراجعة مبادئ ومفاهيم العلم الكلاسيكي، كما فرضت على المهتمين بالشأن الفلسفي إعادة النظر في مفاهيمهم وتصوراتهم الفلسفية التي كانت حاضنة لأفكار العلم الكلاسيكي.

ولكن المُلفت للانتباه في هذا الإطار يتمثل في كون أن المهتمين بالشأن الفلسفي لم تكن لهم الجرأة الكافية للتخلص من ولائهم للنسقية وتشييعهم للمذهبية، حيث كان استغلال الأفكار العلمية لصالح أنساقهم الفلسفية في هوة سحيقة عن مستجدات علوم عصرها، وأشعل فتيل أزمة فكرية بينهم وهذه العلوم، وهو الأمر الذي انتبه إليه الفيلسوف الفرنسي " غاستون باشلار" بكثير من الوعي والحرص ما ان انتدب لنفسه إنشاء فلسفة علمية تترجم وتعبر عن مبادئ وقيم علوم عصرها، فهو يرى أن الأخطاء تشكل عوائق ابستمولوجية يستوجب على العقل إزالتها، فالتقدم العلمي في رأيه يتم بالصراع بين الجديد والقديم، وتطور المعرفة لا يتحقق إلا بالتطهير المتواصل لهذه الأخطاء.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، عمد باشلار إلى تاريخ العلم ما يتيح له الإحاطة بالعلم وبطريقة تراجعية ابتداءا من راهنه، ممثلا في مستجدات الثورات العلمية، ليرتدّ إلى ما قبل ذلك ممثلا في علوم القرنين السابع عشر والثامن عشر، أو ما اصطلح عليه باسم "مراحل قبل العلمية"، حتى يقف على أثر المعارف العلمية على بنية العقل المتجددة باستمرار، مستعينا على ذلك بتوظيف منهج التحليل النفسي لفهم المعرفة العلمية، والوقوف على معوقاتها الباطنية والعمل على إزالتها.

واختيارنا **(بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار)** عنوانا لبحثنا الذي نحاول من خلاله التعمق في المشروع الابستمولوجي الباشلاري ومراحل تطور المعرفة البشرية، محللا الآليات النفسية والفكرية ، واقفا عند أهم الأسباب التي تتحكم في نمو المعارف و تعمل على تمجيد العلم.

وكإجراء منهجي يخدم الأغراض المتوخاة من هذه الدراسة ويتيح الفهم أكثر لمنحاها الفكري، أردنا تحديد المصطلحات الواردة في عنوان بحثنا (بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار).

فمفهوم البناء وظفناه بالمعنى العام وليس بمنظور بنيوي(الفلسفة البنيوية النسقية)، فالمعرفة عند باشلار (قطائع الابستمولوجية) وفعل التعريف "بناء" يوحي إلى التجاوز من صورة المعطى المغلق والمطلق، إلى صورة البناء المفتوح و النسبي، كما أن مفهوم البناء يوحي "بالهدم جدليا وفلسفيا"، و إعادة بناء مجددا هذا بالضبط ما يهتدي إليه باشلار.

أما مصطلح "المعرفة العلمية" فقد أعطيناه معنى مركبا، المعرفة بوجه عام والمعرفة العلمية بوجه الخصوص، وهذا ما يتماشى مع الابستمولوجية الباشلارية.

أسباب إختيار موضوع البحث:

بخصوص إختيارنا لموضوع بحثنا (بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار)، فيرجع ذلك إلى جملة من الأسباب:

أولا إلى روح التطلع في الأفكار الباشلارية وميولنا الشخصية، خاصة أن هذا الموضوع يعبر عن فلسفة علمية معاصرة، تضمنت أفكارا وقيما علمية، تنسجم ونتائج العلم المعاصر، وهي بذلك تلبي طموح الباحث العلمي المعاصر، الذي يأبى أن يبقى حبيس أبحاث فلسفية لا تنسجم وروح عصره.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن باشلار إهتم بتاريخ العلوم وحركيته ، وأبرز كل ما فيه من انفصالات وقطائع باعتباره فيلسوفا للقطيعة الإبستمولوجية.

وهناك عوامل موضوعية، نردها إلى قلة الأبحاث الابستمولوجية في الفلسفة المعاصرة، والفلسفات الكلاسيكية بصفة خاصة باشلار، كما أن باشلار لم يلقى الاهتمام الكافي من قبل الدارسين.

إشكالية البحث:

من خلال اطلاعنا على المشروع الابستمولوجي الذي جاء به باشلار على غرار المشاريع الابستمولوجية في الفترة المعاصرة والتي تقف عند الآليات التي تتحكم في تطور المعرفة العلمية، ارتأينا أن نطرح إشكالية بحثنا على النحو التالي:**اذا كانت الابستمولوجيا الباشلارية تنأى بنفسها عن كل فلسفة تاريخية للعلم، فكيف تفسر - اذن – بـــــــنية تطور العلم؟ واذا كان العلم انقطاعي جدلي تطوري في التصور الباشلاري، فما هي البُنى النفسية المعرفية التي تتحكم فيه؟**

وتتدرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات أساسية يتوجب الوقوف عندها، منها:

- ما طبيعة الابستمولوجيا عند باشلار وماهي مبادئها الاساسية؟

- ما هي نظرة غاستون باشلار لسيرورة المعرفة العلمية؟

- إذا كانت العقلانية العلمية تمثل ثورة فلسفية على تلك العقلانيات التقليدية المتخلفة عن مسايرة العلم، فما طبيعة هذه العقلانية؟ وكيف كان تأثير هذه الثورة على المشروع الابستمولوجي لروبير بلانشي؟

أهمية البحث:

وعن أهمية دراستنا لموضوع (بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار)، فإن ذلك يأتي من منطلق أن هذا الموضوع يضعنا في عمق واحد من أهم الدراسات والأبحاث الفلسفية المعاصرة، والتي نكشفها من خلال هذا الفيلسوف الابستمولوجي الذي يمثل بحق أحد كبار الفلاسفة الابستمولوجيين الفرنسيين المعاصرين.

إن هذه المكانة المرموقة لهذا الفيلسوف الابستمولوجي، ولفلسفة المعرفة العلمية، لم تكن وليدة العفوية أو المصادفة، بل هي نتاج عمل قد تحقق على يده، اقتضى منه الكفاءة الكافية، والجرأة والشجاعة.

إن موضوع بنية المعرفة العلمية عند باشلار بما تضمنه من أفكار فلسفية ابستمولوجية جريئة قلبت الكثير من الأفكار والمعطيات والمبادئ التي كرستها من قبل العقلانيات التقليدية، من أجل إعادة صياغتها من جديد، ليتحقق من خلالها ليس تصحيح مسار الفلسفة فحسب، بل تاريخ الفكر العلمي أيضا.

وفيما يتعلق بخطة البحث، فقد قسمناه إلى ثلاثة فصول، وهذا بحسب ما يخدم الغاية المتوخاة من هذه الدراسة، وقد جاءت خطة بحثنا على النحو الآتي:

الفصل الأول: " الابستمولوجيا الباشلارية ومظاهر فلسفة التفتح فيها ".

ارتأينا أن نبدأ هذا الفصل بعرض أهم مميزات الابستمولوجيا الباشلارية، ونجد ان فهم معرفة أهم المبادئ الأساسية التي حكمت الفلسفة العلمية أولها مسألة دينامية المعرفة وجمودها، وثانيها جدل الحقيقة والواقع، كما عرضنا في هذا الفصل التقويم الجديد والمتمثل في صورة البنائية لجملة من المفاهيم الفلسفية وفق مستجدات ونتائج الثورات العلمية المعاصرة، لا سيما في العلوم الفيزيائية

والرياضية والتي حققت من التجاوز من صورة المعطى إلى صورة البناء المفتوح، وهذه من مظاهر فلسفة التفتح عند باشلار.

الفصل الثاني: "التحليل النفساني للمعرفة العلمية الموضوعية عند باشلار".

وفي هذا الفصل عرضنا نقطتين رئيسيتين، تتعلق الأولى بالتصور الباشلاري لتاريخ العلوم، حيث ركزنا على طريقة التراجعية في تتبع وفهم مراحل تطور المعرفة العلمية، وعلى مفاهيمه الجديدة التي اعتمد عليها في فهم ذلك، ونعني بها مفهوم العائق ومفهوم القطيعة.

أما النقطة الثانية، فتتمثل في التحليل النفسي للمعرفة العلمية حيث يؤكد باشلار، على ضرورة إخضاع المعرفة العلمية، إلى تحليل نفسي من أجل الوقوف عند المكبوت العقلي للباحث، والذي يشكل عائقا أمام تقدم المعرفة العلمية الأمر الذي يستوجب إزالته.

الفصل الثالث: " العقلانية التطبيقية و أهم مميزاتها".

تناولنا فيه تحديد وضبط للعقلانية الباشلارية، وذلك اعتمادا على خصائصها التي تعكس ماهيتها من حيث هي تجادل وتحاور وتطبق، كما عرضنا في هذا الفصل العقلانية التطبيقية مقابل العقلانية النقدية لنوضح معنى العقلانية التطبيقية والدور الذي لعبته في المعرفة العلمية.

كما تناولنا حضور العقلانية الباشلارية في ما تلاها من العقلانيات المعاصرة، حيث وقع اختيارنا على نموذج العقلانية البلانشية مبرزين من خلالها، أهمية العقلانية البلانشية، ودورها في الإسهام في بلورة الفكر العقلاني المعاصر بشكل عام.

منهجية البحث:

أما فيما يتعلق بالمنهج الذي اعتمدنا عليه في دراستنا هذه، فقد ركزنا أساسا على منهج التحليل النقدي من أجل الغوص داخل الحقل الدلالي للنص الباشلاري، لأن باشلار في كثير من الأحيان يلمح ولا يصرح، كما اعتمدنا على المنهج المقارن في بعض النقاط القليلة.

الصعوبات:

وعن الصعوبات التي اعترضتنا أثناء إنجاز هذا البحث فيمكن تلخيصها فيما يلي:

1- صعوبة التعامل مع فكر الفيلسوف مباشرة، فالتعامل مع المـــصدر وبلغتـــه الأصـــلية يقتضي تكوينا وإلماما واسعا بفكر الفيلسوف.

2- صعوبة فهم بعض المسائل التي يلفها كثير من التعقيد.

3- مشكلة الترجمة لا سيما الكتب المترجمة لباشلار إلى اللغة العربية حيث كثيرا ما تطرح صعوبات حول الاشتقاقات اللغوية للمصطلحات التي توظفها في هذه العملية.

وبالرغم من هذه الصعوبات التي واجهتنا، لم تكن عائقا أمام بحثنا الواسع والدائم والمتواصل في تحليل هذا المفهوم، ويجدر الإشارة إلى أن موضوع بنية المعرفة العلمية من المواضيع الهامة.

ولذا نتمنى أن نكون قد ساهمنا من خلال هذا البحث ولو بالجزء الضئيل في الكشف عن بعض الغموض والحقيقة عن بعض المسائل الابستيمولوجية.

الفصل الأول: الإبستمولوجيا الباشلارية ومظاهر فلسفة التفتح فيها.

تمهيـــد.

المبحث الأول: مفهوم الابستمولوجيا لدى باشلار.

المبحث الثاني: أهم المبادئ الإبستمولوجية عند باشلار

المبحث الثالث: الفلسفة المفتوحة لدى باشلار.

خلاصة.

تمهـــــــيد:

يعد المفكر الفرنسي "**غاستون باشلار**" أحد العلامات البارزة في الفلسفة الفرنسية المعاصرة وذلك بفضل إسهاماته العلمية ودراساته خاصة في مجال " فلسفة العلوم"، حيث أغنى الساحة الابستمولوجية بمجموعة من الأطروحات والمفاهيم التي لعبت دورا كبيرا في توضيح كثير من القضايا الفلسفية والعلمية التي كانت مثار جدل بين العلماء والفلاسفة خلال القرن العشرين، حيث نجده ركز على ضرورة القيام بنوع من المراجعة النقدية لبعض المفاهيم التقليدية الموروثة ، لأنه ليس هناك حقيقة مطلقة أو قانون علمي مطلق، كما أن المعرفة العلمية تتميز بمجموعة من الخصائص لا يمكن لتلك المفاهيم التقليدية استيعابها، ففي العلم لا نكون أمام تجربة صرفة ولا أمام ممارسة نظرية لها علاقة بالمرحلة التاريخية التي يمر بها العلم.

ومن هنا قام " **باشلار**" بالربط الوثيق بين النزعة التجريبية والنزعة العقلية ، فالأولى في حاجة إلى أن تعقل والثانية في حاجة إلى تجربة، وبما أنه يطلق على منهجه النزعة العقلية التطبيقية فسنحاول أن نرى كيف حاول "**باشلار**" تطبيق منهجه على نظرية المعرفة.

ولعل أهم ما يميز فلسفة " **باشلار**" هي أنها فلسفة متفتحة تنأى بنفسها عن كل دوغماتية، وعليه السؤال الذي نطرحه هنا:

ماهي حقيقة الابستمولوجيا الباشلارية؟ وفيما تتمثل الفلسفة المفتوحة عند "غاستون باشلار"؟.

المبحث الأول: الإبستمولوجيا الباشلارية

أ- تعريف الإبستمولوجيا:

هي لون جديد من الدراسات التي تتخذ المعرفة موضوعا لها، وإن شيوع هذا المصطلح دليل على وجود نظريات جديدة تدعوا الحاجة إلى جعلها موضوعا لعلم جديد.[1]

وتحديد معنى الابستمولوجيا هو أمر تفرضه علينا الضرورة العلمية، ذلك لأن مصطلح الإبستمولوجيا اكتسب عدة معاني طوال تاريخ الفلسفة وهذا ما يجعلنا نستعرض أولا معناه اللغوي والاصطلاحي.

فالابستمولوجيا من حيث معناها اللغوي هي مفهوم مركب من كلمتين يونانيتين، الأولى " الابستيمي Epistème " وتعني علم، والثانية " لوغوس logos " وتعني علم، نقد، نظرية، دراسة...، فمعنى الابستمولوجيا إذن " نظرية العلوم" أو " فلسفة العلوم".[2]

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي كثيرا عن المعنى اللغوي، فالابستمولوجيا مصطلح حديث النشأة، نظرا لعدم وجوده في المعاجم الفلسفية السابقة، ولقد كانت فيما سبق تختص بالبحث حول أسئلة تقليدية فكانت تهتم بطبيعة المعرفة " هل هي مثالية أم واقعية؟" وفي حدودها وما إذا كانت المعرفة ممكنة أو غير ممكنة؟، هذه أهم المسائل التقليدية التي كانت تدور حولها مباحث الابستمولوجيا في الفلسفة التقليدية.

---

[1] محمد الوقيدي: ماهي الابستمولوجيا؟ مكتبة المعارف للنشر، بيروت، ط2، 1987م، ص15.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي (الجزء الأول)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1982م، ص 33.

من هنا نحاول أن نميز بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة الحديثة، فنجد" أن نظرية المعرفة العلمية تعتمد على وسائل حديثة مثل القياس والإحصاء والتجارب، بينما نظرية المعرفة بمعناها التقليدي تعتمد على وسائل الفكر في حين تتصف نظرية المعرفة العلمية بالنزعة الموضوعية".[1]

ويتضح لنا بأنه من الصعب التمييز بين الابستمولوجيا ومختلف الأبحاث المشابهة لها ، فغالبا ما تكون المسائل التي نتناولها هي بالأصل من ميدان الميتودولوجي "Méthodologie" ، أو المنطق،* أو نظرية العلم.

فالمعنى الاصطلاحي لكلمة الابستمولوجيا قد اختلف معناها من باحث إلى آخر ومن فيلسوف لآخر ، فنجدها عند "لالاند" ، في معجمه الفلسفي الذي يرى بأنها " تدل على فلسفة العلوم ولكن بمعنى أدق هي ليست حقا دراسة المناهج العلمية" [2]، هذه الدراسة التي هي موضوع الميتودولجيا والتي تشكل جزءا من المنطق وليست كذلك تركيبا للقوانين العلمية وإنما أساس الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم.

كما نجد الدكتور محمد عابد الجابري، يعتمد في تعريفه للابستمولوجيا على المعجم الفلسفي لـــ " لالاند" ويرى الجابري بأن " لالاند" حرص على التمييز بين الابستمولوجيا من جهة وبين الميتودولوجيا وفلسفة العلوم بمعناها العام من جهة أخرى.[3]

---

[1] شعبان حسن: برونشفيك وباشلار – بين الفلسفة والعلم- دراسة نقدية، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، ط1،1993، ص 123.

* المنطق: في اللغة يعني الكلام وعند الفلاسفة آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الوقوع في الخطأ، أنظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي (ج2)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1982، ص 428.

[2] اندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص 356.

[3] محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،ط 5، 2002م،ص 18.

أما الفرنسيون فميزوا بين المعرفة والابستمولوجيا بمعناها الدقيق شأنهم شأن الألمان الذين هم أيضا يميزون بين نظرية المعرفة والابستمولوجيا.

والخلاصة إذا أردنا تعريف الإبستمولوجيا تعريفا دقيقا نقول أنها تشمل كل الأبحاث المعرفية: فلسفة العلوم، مناهج العلوم...منظور إليها من زاوية علمية معاصرة، أي من خلال المرحلة الراهنة لتطور الفكر العلمي والفلسفي، كما أنها علم المعرفة التي تختص ببحث العلاقة بين الذات والموضوع.[1]

ب- الابستمولوجيا الباشلارية:

لعب التطور العلمي في العصر الحاضر دورا كبيرا في تغيير مفهوم الابستمولوجيا، فأصبح الفلاسفة يبحثون موضوع الابستمولوجيا في إطار المعرفة العلمية وحدها بعد أن كانت الابستمولوجيا التقليدية تختص بالبحث في حدود المعرفة ومسائلها.[2]

إن المشكلة الابستمولوجية الحاضرة تجاوز الإطار المعرفي السابق على تطور العلم: كانت الظواهر قبل التطور العلمي تعالج في سكونها بالاستناد على نواة واقعة ساذجة.

وحتى نصور بوضوح المسار الذي مرت به الابستمولوجيا، نرى لزاما علينا أن نميز بين ثلاث مراحل في تكوين العقل متبعين في ذلك باشلار نفسه:

المرحلة الأولى: تتمثل في الحالة ماقبل العلمية وتشمل على أزمة العلوم الكلاسيكية القديمة وعصر النهضة والجهود المستمرة في القرن 16-17- و 18.

---

[1] شعبان حسن: برونشفيك وباشلار – بين الفلسفة والعلم- دراسة نقدية، مرجع سابق، ص 124.

[2] رافد قاسم هاشم: ابستمولوجيا المعرفة العلمية عند باشلار، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، جامعة بابل، د ط، 2013، ص 190.

المرحلة الثانية: تمثل الحالة العلمية التي بدأت في أواخر القرن 18 وتمتد إلى القرن 19 وأوائل القرن 20.

المرحلة الثالثة: ابتدأت عام 1905 حيث بدأت مع نظرية انشتين في النسبية تعبر كثيرا عن المفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة من قبل وشهد القرن 20 تطورا كبيرا في مجال العلوم مثل الميكانيكا الكوانتية.[1]

لقد أراد " باشلار" أن يربط الابستمولوجيا بتطور العلوم، فاستلهم وقائع العلم وفروض الرياضيات وبدأ بالعلوم الفيزيائية حتى تأتى له أن يضع المادة موضعا جديدا أو هذا هو الطريق الذي ضمن لـــ " باشلار" الانتهاء إلى مذهبه في " المادية العقلانية" أو "العقلانية العلمية".

وإذا كنا قد قسمنا مراحل الابستمولوجيا إلى ثلاث مراحل فإن " باشلار" يحدد سمات كل مرحلة ويميزها عن الأخرى حسب مفهومه لتطور العقل العلمي:

الحالة الأولى: هي الحالة الملموسة، حيث يتلهى العقل بالصورة الأولى للظاهرة ويعتمد على أدبيات فلسفية تمجد الطبيعة [2]، هذا يعني أن العقل ينشغل بالصورة الأولى للظاهرة ويعتمد على صيغ فلسفية تمجد الطبيعة وتؤمن بوحدة العلم.

الحالة الثانية: هي الحالة الملموسة المجردة، حيث يضيف العقل إلى التجربة الفيزيائية، الرسوم الهندسية ويستند إلى فلسفة البساطة.

---

[1] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، ترجمة د خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للداراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1981، ص 8.

[2] المصدر نفسه ، ص 09.

هنا يقصد أن العقل في وضع متناقض فهو واثق من تجربة بقدر ما يكون هذا التجريد ماثلا بوضوح في حدس ملموس أو محسوس.

الحالة الثالثة: وهي الحالة المجردة، "حيث يباشر العقل بمعالجة المعلومات المأخوذة طوعا من حدس الميدان الواقعي والمنفصلة طوعا عن التجربة المباشرة وحتى المتصارعة" [1]. نقصد هنا بأن كل من العقل والتجربة يكونا متلازمين في هذه المرحلة.

ومن هنا نرى أنه يفترض بكل معرفة علمية أن يتجدد بناؤها في كل لحظة حسب تطور العلم والعلوم.

"إن الابستمولوجيا الباشلارية تستند إلى معطيات الثورة العلمية المعاصرة في مجال العلوم الرياضية والفيزيائية بصفة خاصة لكي تؤكد أن آثار هذه الثورة لم تمس بمبادئ تلك العلوم فحسب، بل لحقت أيضا بنية الفكر الإنساني ذاته" [2].

إن ما تنبهنا إليه الثورة العلمية المعاصرة في نظر باشلار هي أن الفكر الإنساني لا يحيا علاقة وحيدة الاتجاه مع التطور العلمي، فهو ليس منتجا لهذا التطور العلمي فحسب، بل إنه متأثر بنتائج هذا التطور أيضا، وهذا في الواقع لم تنتبه إليه الفلسفات الكلاسيكية.

لقد اهتم باشلار بالابستمولوجيا اهتماما بالغا، فنرى أن الابستمولوجيا عنده تعمل على ثلاث مهمات أساسية:

أولا: إبراز القيم الابستمولوجية التي تفرزها الممارسة العلمية وذلك بقطع الطريق على كل ما تحاول الفلسفة إدخاله في العلم من قيم أخلاقية ودينية وجمالية، ومصدر هذه القيم هي النظريات العلمية، ولكن

[1] غاستون باشلار : تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 10.

[2] شعبان حسن: برونشفيك وباشلار – بين الفلسفة والعلم- دراسة نقدية، مرجع سابق، ص 128.

ليس كل النظريات العلمية بل الجديدة والثورية، فالقيمة الابستمولوجية للهندسات الاقليدية مثلا ترتبط بما تقدمه هذه الهندسات من تصور جديد للمكان وهذا بالتحديد لمهمة الفلسفة تحديد إيجابي فبموجبه لا تكون فلسفة العلوم تدخلا فلسفيا في العلم لتبرير أهداف خارجة عنه [1]، بل تكون استيعابا للقيم العلمية الجديدة التي يفرزها التطور العلمي وبمعنى آخر" إن باشلار لا يريد أن يقيم نظرية في المعرفة تحتوي النتائج العلمية لتحديد أهداف إيديولوجية، ولكن ثمة شروط لابد منها لتتمكن فلسفة العلوم من إبراز القيم الابستمولوجية التي أنتجها التطور العلمي" [2].

أما الثانية فهي البحث في أثر تطور المعارف على بنية الفكر، سيؤدي هذا البحث إلى فوضى [3] يتبين لنا أن هذه الفوضى في العقل مخالف للموقف الفلسفي التقليدي، إنه موقف مربك للفكر، فالعقل بفعل تطور المعارف العلمية وتأثيرها في بيئته سيغدو ديناميا فعلا،إن فلسفة العلوم مع هذا الفهم الدينامي لبيئة العقل التي تتعارض وتطور العلم، بل تستقبل القيم الجديدة وحتى إن كانت متناقضة ومخالفة لتصورات فلسفية.

أما المهمة الأخيرة فهي التحليل النفسي للفلسفة الموضوعية، فقد نقل باشلار هذه النظرية إلى الابستمولوجيا، فافترض أن ثمة مكبوتات عقلية ليظهر أثرها في البحث العلمي، على فيلسوف العلم أن يكون المحلل النفسي لعمل الباحث، والتحليل النفسي للمعرفة الموضوعية سيمكننا من فهم هذه المعرفة

[1] رافد قاسم هاشم: ابستمولوجيا المعرفة العلمية عند باشلار، مرجع سابق، ص 190.

[2] حسن علي الكركي: الابستمولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارف، بيروت، لبنان، ط1،2010 ص 122.

[3] رافد قاسم هاشم: ابستمولوجية المعرفة العلمية عند باشلار، مرجع سابق، ص 197

في تطورها أو توقفها لكشف هذه العوائق ويحدد الميكانيزم الذي أسسه موقف المعرفة الموضوعية وتتقهر.[1]

يدعوا باشلار إلى ضرورة قيام فلسفة للعلوم أو ابستمولوجيا مهمتها تحديد الشروط الذاتية والموضوعية في آن واحد والتي يمكن الربط بين المبادئ العامة والنتائج الخاصة، فلسفة بإمكانها مواكبة التقلبات المختلفة للفكر العلمي وتدرك ضرورة المزاوجة بين معطيات التجربة ومبادئ العقل، فالفكر العلمي المعاصر يجمع بين التجربة والعقلانية، ولا يمكن الفصل بينهما على طريقة الفلسفة التقليدية لذلك باشلار يصر على إقامة ابستمولوجيا مزدوجة القطب ، رغم أن باشلار يزاوج بين العقلانية والتجريبية إلا أنه "يصرح بضرورة تغلب العقل على التجربة" [2]، بمعنى الانطلاق من المحسوس إلى المجرد، وهذه العقلانية المنطقية التي أراد لها باشلار أن تكون بديلا عن الفلسفات المثالية.

فلسفة باشلار "قد تكون متكيفة حق التكيف مع الفكر العلمي الدائم التطور" [3]، يعني أنه لا يلزمها النظر في أثر المعارف العلمية على البنية الروحية باعتبارها فلسفة متفتحة وبكونها وعي عقل يبحث فيه التجارب الجديدة تقول لا للتجارب القديمة.

سمات نظرية المعرفة عند باشلار:

تتميز نظرية المعرفة العلمية عند " باشلار" بمجموعة من السمات الأساسية والتي تميزها عن باقي الابستمولوجيات أو نظرية المعرفة عند الفلاسفة المعاصرين، من بين هذه السمات:

---

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[2] رافد قاسم هاشم: ابستمولوجية المعرفة العلمية عند باشلار، مرجع سابق،197.

[3] غاستون باشلار: فلسفة الرفض، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الحداثة ، بيروت، ط1، 1985، ص 10.

- ❖ أنها ترفض العقل قبل العلمي وتقول لا لعلم الأمس ولا للطرق المضادة في التفكير وليس معنى ذلك أنها فلسفة سلبية، وإنما هي فلسفة بناءة، ترى في الفكر عامل تطور عندما ينقد الواقع فهي فلسفة لا تعترف بناء أو نسق، بل ترى فقط بناء وتجدد باستمرار على ضوء التطورات العلمية المستمرة.
- ❖ أن الابستمولوجيا الباشلارية تلتزم بالنظر إلى المعرفة من زاوية تطورها في الزمان بوصفها عملية تطور ونمو متصلة ، بعبارة أخرى لابد من النظر إلى المعرفة أية معرفة بوصفها نتيجة لمعرفة سابقة.
- ❖ أن ابستمولوجيا باشلار نظرية في المعرفة غير مكتملة.
- ❖ إن ابستمولوجيا باشلار هي نظرية علمية في المعرفة تستقي موضوعاتها ومناهجها من العلم ذاته.
- ❖ تتميز نظرية المعرفة العلمية عند باشلار بالمقارنات المتعددة على مستويات متعددة وهذه المقارنات تأخذ شكلا تاريخيا نقديا وترتكز بالذات على ثقافة القرن 18 غير العلمية وهذا الشكل التأريخي النقدي المنهجي الذي يجري تطبيقه على تاريخ العلوم.
- ❖ السمة الأساسية في الابستمولوجيا الباشلارية هي اهتمامها المتزايد بجوانب النقص والخطأ والفشل أكثر من اهتمامها بالايجابيات.[1]

[1] رافد قاسم هاشم: إبستمولوجية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار، مرجع سابق، ص 187-189.

المبحث الثاني: أهم المبادئ الإبستمولوجية عند باشلار:

أ- مفهوم الابستمولوجيا التكاملية:

يرى " باشلار" أن العقل والتجربة كلاهما مكمل للآخر، وربما كان هذا الاتجاه قد تبناه باشلار من جراء التقدم العلمي الذي حدث في مجال الميكروفيزياء" فلقد اكتشف العلماء أن الأضداد لا تتصارع في المستوى الميكروفيزيائي، لتنتهي إلى التركيب، بل إنها تتكامل" [1] وهذه هي الحقيقة الدياليكيتيكية التي اكتشفها باشلار وأقام كتابه القيم" فلسفة النفي أو فلسفة اللا" على أساسها.

وهنا يكمن الاختلاف الجوهري بين ماركس وباشلار، فالدياليكتيك الماركسي حينما طبق جدله وقوانينه على المادة أو الطبيعة، فإن نفرض أن الضد يصارع الضد ولكن مصيرها الوحدة التركيبية وليس التكاملية، بينما الدياليكتيك الماركسي دياليكتيك مغلق، فإن فلسفة النفي هي فلسفة مفتوحة " ذلك لأن الكشوف العلمية المعاصرة خاصة في مجال الميكروفيزياء، بينت أن الأضداد تتصارع و تتكامل فيما بينها وأنها تفرض نفسها كحقائق الاعتراف بها على الرغم من تناقضها: " إن الابستمولوجيا التكاملية عند باشلار تقوم على ديالكتيك علمي أو هي ابستمولوجيا مؤسسة على العلم الحديث"[2]، فنجد أن هذه الابستمولوجيا تسلم بأن كل حقيقة محملة وأن كل فكرة هي دوما في حالة صيرورة وأن قضية علمية

[1] شعبان حسن: برونشفيك وباشلار – بين الفلسفة والعلم- دراسة نقدية، مرجع سابق، ص 136.

[2] رافد قاسم هاشم: إبستمولوجيا المعرفة العلمية عند باشلار، مرجع سابق، ص 201.

مهما كانت تقبل المراجعة وبناءا عليه فأولى خطوات الديالكتيك الباشلاري هو تطهير المعرفة من أية فكرة مسبقة[1]، وهذا يعني أن الفكر ينبغي أن يضل دائما في حالة تقبل أي أن يظل مستعدا لتقبل أي أفكار جديدة حتى لو كانت تتناقض مع الأفكار المسلم بها أصلا وهنا يلعب مبدأ القابلية للمراجعة دورا أساسيا في ابستمولوجيا باشلار العلمية.

وينص مبدأ القابلية للمراجعة " على أن العالم يظل في حالة استعداد دائم لمراجعة مبادئه وأفكاره باعتبار أنه ليس هناك حقيقة مطلقة أو قانون علمي" [2].

وعموما فالابستمولوجيا التكاملية عند باشلار تقوم بين ماهو تجريبي وماهو عقلي، فالمعرفة بطبيعتها تأملية وتجريبية معا، ففي كل معرفة عقلية راسب من التجربة وفي كل معرفة تجريبية بعض المبادئ والأفكار العقلية.

ب- مفهوم الحقيقة:

دون الحديث عن مفهوم الحقيقة* عند صاحب نظرية المثل الذي يعتبرها موجودة في عالم المثل، ودون الحديث عن نفس المفهوم عند فلاسفة وعلماء العصر الحديث الذين يعتبرونها من المطلقات، سنتناول نفس المفهوم عند غاستون باشلار صاحب فلسفة الرفض في إطار التحولات التي ظهرت في علم الهندسة ، والأخرى في عالم الذرة، ومع نظرية النسبية مع انشتين، فباشلار يعتبر الحقيقة خطأ

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[2] شعبان حسن: برونشفيك وباشلار –بين الفلسفة والعلم-، دراسة نقدية، مرجع سابق، ص 136.

* الحقيقة في اللغة حقيقة الشيء وخالصه ومحضه، حقيقة الامر بيقين شانه، حقيقة الرجل مايلزمه حفظه والدفاع عنه، ولها عند الفلاسفة عدة معاني، الأول هو مطابقة التصور أو الحكم للواقع، والثاني مطابقة الشيء الصورة والثالث هو الماهية أو الذات،أنظر جميل صليبا: المعجم الفلسفي (ج1)، مرجع سابق، ص 485.

متجاوز أو مصححا وبالتالي لا يمكن الحديث عن مفهوم الحقيقة دون الحديث عن مفهوم اللاحقيقة، ذلك لأن ما يميز الفكر العلمي وتقدمة هو تصحيح أخطائه.[1]

ففي كتابه " تكوين العقل العلمي" يؤكد "باشلار"، أن الحقيقة العلمية هي تصحيح الفهم الأولي المشترك، وعبر عن ذلك في مقولته " المعرفة الموضوعية الأولى هي خطأ أولي".[2]

فالحقيقة عند " باشلار" لا يمكن تحديدها إلا من خلال النظر لعلاقتها باللاحقيقة، ومادامت الحقيقة هي خطأ مصحح فان اللاحقيقة (موضع الخطأ) ، تكون في طريق واحد معها ، هذه اللاحقيقة أو الخطأ يعتبر باشلار أن له دور إيجابي في المعرفة العلمية، "فالحقيقة ليست ثابتة أو مطلقة والعلم بدوره ليس ثابتا وأزليا وإنما يتضمن البحث المستمر واللايقين والنقد بوصفه جزءا من العمل الدياليكتيكي".[3]

أسبقية الخطأ عن الحقيقة عند " باشلار":

إن العلم لم يصل إلى الحقيقة إلا من خلال تجاوز تصحيح الخطأ (اللاحقيقة)، وبالتالي يكون الخطأ أولا ثم يأتي التصحيح ثانيا أي تأتي الحقيقة العلمية، فالحقيقة واللاحقيقة متصاحبان في رحلة الاكتشافات العلمية، وهذا ما وضحته "غادة الإمام" في كتابها " باشلار وجماليات الصورة" من خلال قولها "أن الحقيقة عند باشلار هي شكل من أشكال المعرفة التي لا نستطيع ان نسير على دربها إلا في إطار النظر لعلاقتها باللاحقيقة " [4].

---

[1] بوعزة ساهل، أوراق باشلارية، دار القروين، الدار البيضاء، ط1، 2001،ص 9.

[2] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 45.

[3] غادة الإمام: باشلار وجماليات الصورة، دار التنوير، لبنان، ط1، 2010،ص 53.

[4] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

ويتضح لنا من هنا بأنه مادامت الحقيقة هي خطأ مصحح فإن اللاحقيقة بوصفها الخطأ تكون في طريق واحد معها فهي الشرط الآخر للحقيقة.

كما نجد " باشلار" في كتابه " تكوين العقل العلمي" ، يصر بأنه لاتوجد حقيقة بدون خطأ مصحح فنجده يقول: " ...إن بسيكولوجية الموقف الموضوعي هي تاريخ أخطاءنا الشخصية" [1] .

هذا يعني أن الخطأ له دور إيجابي في المعرفة العلمية على نحو ماعبر عن ذلك في كتابه "العقلانية التطبيقية" بقوله: " ... إن الخطأ يأتي ليلعب، بفضل التصحيح دوره المفيد في تقدم المعرفة العقلانية التطبيقية"[2].

إن الحقيقة حسب ما وصفها "باشلار" بنت المحاورة وليست بنت التعاطف، يعني أن السير على درب الحقيقة يتحقق من خلال الحوار مع الآخر المختلف عنه، وبالتالي أن العلاقة بين الحقيقة واللاحقيقة ليست علاقة تناقض بل هي علاقة جدلية يكملان بعضهما البعض، فالتفكير العلمي هو تفكير " جدلي" يدمر قبل ان يبدع [3]، وهذه المرحلة التي يمر فيها الانتقال من التدمير إلى الإبداع يطبعها الطابع الثوري للتقدم العلمي.

[1] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 191.

[2] غاستون باشلار: العقلانية التطبيقية، ترجمة بسام الهاشم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص 132.

[3] غادة الإمام: باشلار وجماليات الصورة، مرجع سابق، ص 53.

وقد حاول "باشلار" إبراز هذا الأخير، إذ يرى أن الخطأ أساسي وأولي وهو الذي يظل مسيطرا على العقل البشري مالم يعمل هذا العقل على إزاحته عن مواقعه واحدا بعد الآخر بجهد وكفاح وصراع لا يتوقف[1].

يعني هذا أن التقدم العلمي يتم من خلال الصراع بين القديم والجديد أي بين الخطأ والصواب، ويتبلور هذا الصراع على السلب وعلى " اللا" التي أصبحت تعبر عن لا حتمية (اللاحتمية) ولا يقين (اللايقين)...فالفكر الغربي لم يكن يستطيع الوصول إلى ماوصل إليه حاليا دون المرور بحالة من السلب وبحالة النفي.

وهكذا لن تكون الحقيقة حقيقة بالمفهوم العلمي إلا إذا تكاملت فيها الحقيقة واللاحقيقة، فقبل الإبداع والاكتشاف لا بد من التدمير أولا.

فكل حقيقة لا بد أن تكتسب نوع من النضال " فالحقيقة لا تسير في طريق ميسر وممهد معبدا مباشرا إلى الحقيقة بل إن طريقها ملتو تمتزج فيه الحقيقة بالبطلان ويصارع فيه الصواب الخطأ صراعا مريرا"[2].

إن الحقيقة العلمية ليست مجرد صور تجريبية ساذجة ، فالفكر العلمي لا ينشط إلا حين يلغي كل الصفات الجوهرانية، فالفكر العلمي الجديد يهدم هذه الفكرة برمتها، فلا وجود لحدس أول[3].

ج- مفهوم الواقع:

[1] المرجع نفسه ، ص107.

[2] غادة الإمام: باشلار وجماليات الصورة، مرجع سابق، ص 107.

[3] رافد قاسم هاشم: إبستمولوجية المعرفة العلمية عند باشلار، مرجع سابق، ص 199

يعتبر الواقع* الباشلاري فناء علمي عقلاني يعتمد في بناءه على تقنيات هي نفسها تطبيق للنظريات العلمية، فأصبح موضوع الواقع موضوعا ذا صنفين، محسوس(معطى)، ومجرد (مبني عقليا)، شيء في ذاته ولا شيء، فنحن أمام ثنائيات حداهما متناقضان، ففي الفلسفات التقليدية كان الشيء في ذاته بالمعنى الكانطي هو الموضوع بالنسبة لهذه الفلسفة ولكنه أصبح موضوعا للمعرفة العلمية بالنسبة للعلم المعاصر، ويعطي باشلار مثال نواة الذرة (الفوتون)، وهنا تدخل جدلية المعطى والمبني، جدلية الواقع الطبيعي والواقع العقلي والتقني، الواقع المحسوس والواقع المجرد في علاقة التكامل دون إقصاء أي حد من حدود الثنائيات المتناقضة.[1]

فالواقع العلمي ليس معطى من معطيات التجربة المباشرة، فالقضية العلمية لا تكتفي بوصف ما هو جاهز والاقتصار في التفكير على ما تقدمه الحواس، بل تتعداه للتفكير في إمكانات أخرى للواقع لا واقعية، وهنا " باشلار" يتوجه بنقده إلى النزعة الوضعية التي ترى ضرورة تحلي جميع المفاهيم المستخدمة في العلم بمدلول تجريبي واختباري مباشر.[2]

كما أن الواقع الذي يدرسه العلم المعاصر واقع يتصف بالاصطناع' فالواقع في الفيزياء أو في الكيمياء المعاصرين واقع يتصف بالاصطناع أي نتيجة.

ومعنى الاصطناع في موضوع المعرفة العلمية هو البناء بفضل تقنيات، وآليات ذهنية وليس بما هو جاهز وقبلي، كما كان عند أرسطو ونيوتن وكانط، فموضوع التحليل النفسي عند فرويد ليس هو الواقع

*الواقع : ماهو قائم حقا وهو وجود الشيء مقابل عدم وجوده.أنظر، د كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1،2000، ص 661 .

[1] بوعزة ساهل: أوراق باشلارية، مرجع سابق،ص 16.

[2] سالم يفوت: فلسفة العلم المعاصر ومفهومها للواقع، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1975،ص 14.

الظاهر و المعطى، بل الواقع الذي يدرسه هو الواقع الباطني، واقع يتم بناؤه، وموضوع التحليل الاقتصادي عند ماركس ليس هو الواقع المعطى، بل الواقع الذي يتطلب أجهزة ومفاهيم وتقنيات معينة من أجل البناء.[1]

نرى أن باشلار يؤسس واقعه العلمي على أساس ضرورة فرضتها العقلانية التطبيقية التي يتمسك بكونها الفلسفة المناسبة للعلم، فقد رفض "باشلار" النزعة العقلية البحتة في قدرتها على إنجاز مهمة الفلسفة، وكذلك رفض النزعة التجريبية البحتة في القيام بهذه المهمة كاشفا عن نزعة تكاملية يقوم بها العقل والتجربة في صياغة الحقائق العلمية وإتمام مجمل المشروع العلمي وهذا هو صميم العقلانية التطبيقية لباشلار مؤكدا على أن فلسفة العلوم تقوم على الحوار بين العقل والتجربة، فهو يقول في مدخل كتابه الفكر العلمي الجديد:" على هذا النحو ندرك أن نتأمل العمل العلمي،أن المذهب الواقعي والمذهب العقلي يتبادلان النصح باستمرار، وأن مذهبا منهما لايستطيع وحده أن يؤلف برهانا علميا، ففي نطاق العلوم الفيزيائية لانجد حدسا بظاهرة يستطيع أن يدل على أسس الواقع دفعة واحدة، وكذلك لا مجال لوجود قناعة عقلية مطلقة ونهائية في وسعها أن تفرض مقولات أساسية على طرائق بحثنا"[2].

لذى يرى باشلار أن على الباحث الابستمولوجي الوقوف على مسافة واحدة على ماهو واقعي وماهو عقلي، وعندها سيدرك حركة جديدة نابعة من هاتين النزعتين المتضادتين "تلك الحركة المزدوجة التي تمكن العلم من تبسيط الواقع وإضافة معارف جديدة للعقل، وإذ ذاك تضائل المسافة التي تذهب من الواقع المفسد إلى الفكر المطبق"[3].

---

[1] المرجع نفسه، ص 173.

[2] غاستون باشلار: الفكر العلمي الجديد، ترجمة د عادل العوا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1983، ص 12.

[3] المصدر نفسه، ص 13.

وعند الفكر المطبق سنجد ضالتنا المتمثلة في الواقع العلمي الذي تبحث عنه عقلانية باشلار العلمية، إذ يرى" أن هذا الواقع يعبر عن واقع محول، واقع تعرض للتصويب وتلقى تحديدا علامة الإنسان المميزة، علامة العقلانية" [1]، وعند هذا الإرتباط الوثيق بين العقل والواقع يكون بمقدورنا أن نصف هذا الواقع" الواقع العلمي" على حد تفسير "باشلار"[2]، إذ في هذا الواقع يرتبط الفكر بالتجربة ضمن إطار التطبيق والتحقيق.

والخلاصة التي نخرج بها أن الواقع العلمي لدى باشلار تشكل نتيجة العلاقة الجدلية المستمرة في مراحل العقل العلمي والواقع العلمي، والواقع غير النقي دائما وغير المشكل أي الواقع الطبيعي.

[1] غاستون باشلار: العقلانية التطبيقية، مصدر سابق، ص39.

[2] المصدر نفسه، ص 31.

المبحث الثالث: الفلسفة المفتوحة لدى باشلار:

يرى باشلار أن الفلسفات السابقة لم تستطع أن تساير المد العلمي المعاصر، فقد كانت مواقف أحادية لا قيمة لها لذلك يستحيل القول بأن البناء العلمي يقوم على أساس أحادي تجريبيا كان أم عقلانيا، لذلك حاول الربط بين عمل العقل وعمل التجربة وأكد على ارتباطهما.

ونجد في كتاب " العقلانية التطبيقية" عند باشلار، أن هناك علاقة وطيدة بين العقل والتجربة وانسجام تام بينهما هذا ماجعله يقول: " أن هذا اليقين الثنائي الجوهري، ولئن نقص أحد الطرفين فإن بالإمكان القيام بتجارب كما بالإمكان ممارسة الرياضيات، لكن هذا لا يمثل مشاركة في النشاط العلمي، فلا يستطيع هذا اليقين الثنائي أن يعبر عن نفسه إلا بفلسفة ذات حركتين، بل بواسطة حوار".[1]

اعتقد باشلار أن العقل والتجربة في حوار دائم من أجل صياغة منظومة معرفية يتحقق فيها الانسجام تدريجيا، وأنه ليس ثمة عقل بدون تجربة ولا وجود لتجربة بدون عقل، فلا نحكم على المعرفة العلمية بواسطة العقل فقط بل بواسطة العقلانية التجريبية المنفتحة.

[1] غاستون باشلار: العقلانية التطبيقية، مصدر سابق،ص 31.

ومن هنا جاء المشروع الباشلاري بإقامة فلسفة جديدة مطابقة لعلوم العصر، ألا وهي العقلانية المنفتحة أو ماتعرف بالفلسفة المفتوحة، فقد أخذ " التفتح" شكلا آخر في النزعة العقلانية، انفتاح يكسر الحاجز بين العقل والتجربة للمساهمة في صنع الحقيقة العلمية، إذ لا نميز بين ما هو عقلي وماهو تجربي في الحقيقة العلمية، فالفلسفة المفتوحة تجاوزت الفصل بين العقل والتجربة.

ومن مظاهر التفتح الذي تميزت به العقلانية المنفتحة هو الكشف عن حقيقة ديالكتيكية* جديدة تتميز بالانفتاح عن طريق الجدل، الذي يعد في الأصل فن الحوار والمناقشة، كما قال أفلاطون: " الجدلي هو الذي يحسن السؤال والجواب".[1]

أراد باشلار أن يضع مفهوم للجدل يختلف عن معناه في الفلسفة التقليدية ويتناسب مع روح العلم المعاصر، ويرى أن الجدل الداخلي للفكر العقلاني لم يظهر حقا إلا في القرن 19، بحيث ظهر في نفس الوقت في الفلسفة والعلم دون أن يكون بينهما تأثير متبادل، فالعقل العلمي هو عقل جدلي، هذا ما يقودنا إلى القول بجدلية النفي عند باشلار.

إن جدلية النفي عند باشلار، جوهرها رفض القديم والانفصال عنه، فالنفي يجب أن يبقى على صلة بالتكوين الأولي ويتوجب عليه أن يسمح بتعميم جدلي والتعميم بالنفي يجب أن يتضمن ما ينفيه.[2]

معنى هذا أن الجدل عند " باشلار" يقوم فيه الجديد بنفي القديم واحتوائه في نفس الوقت، فالجدل الابستمولوجي لديه القدرة على احتواء القديم في الجديد ويتجلى هذا في تاريخ العلم الفيزيائي بين

* ديالكتيكية: الجدل، أنظر جميل صليبا (ج1)، مرجع سابق، ص 65.

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي (ج1)، مرجع سابق، ص 391.

[2] غاستون باشلار: فلسفة الرفض، مصدر سابق، ص 156.

مفاهيم "نيوتن وانشتاين"، فالنسبية مثلا لم تأت لتلغي فيزياء نيوتن بل قامت بتصحيح الخطأ، هذا يعني أن تاريخ العلم هو تصحيح الأخطاء.

لقد حاول " باشلار" فصل سلسلة المعرفة العلمية بعضها عن بعض عن طريق الانتقال من نظرية إلى نفيها، وهو انتقال إيجابي له ما يبرره على الصعيد المعرفي، فما يسميه " باشلار" جدلي هو الحركة الاستدلالية التي تعاود نظم المعرفة من خلال توسيع أسسها ومرتكزاتها، بحيث لا يكون نفي المفاهيم والمصادرات سوى وجه من وجوه تعميمها.[1]

ونستنتج من هذا أن المعرفة العلمية تدور في حركة دائرية، فكلما تم اكتشاف نظرية معرفية جديدة لا تلبث أن تبني على أنقاضها نظرية أخرى، وهكذا دواليك، فالعلم يرضى بالمحدودية وإنما لا بد من توسيع أطره قدر الإمكان.

إن الجدل في حد ذاته قائم على انفصال بين النظرية العلمية، فالانتقال من معرفة علمية إلى أخرى لا يتم إلا عن طريق حركة استدلالية جدلية تعاود بناء الصرح العلمي.

لقد أراد " باشلار" أن يعبر فلسفيا عن مبدأ التكامل وأن ينقل إلى الفلسفة هذا المفهوم، وهو يتحدث عن عدد من أنواع الجدل في الفكر العلمي المعاصر، التكامل بين الاتجاه العقلاني والاتجاه التجريبي، التكامل بين القبلي والبعدي، التكامل بين المحسوس و المجرد، والتكامل بين العالم الرياضي والعالم الفيزيائي.

ومن هنا يتضح لنا بأن فلسفة " باشلار" هي فلسفة اللا أو فلسفة النفي، تقاوم وترفض الوضع كما هو عليه وتسعى إلى كشف الجديد، ولكن النفي يكون نفيا إيجابيا وليس سلبيا، وفي هذا الصدد نجده يقول:

[1] ديديه جيل: باشلار والثقافة العلمية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1996، ص 98.

"أن فلسفة النفي ليست من الناحية السيكولوجية نزعة سلبية ولا هي تقود إلى تبني العدمية إزاء الطبيعة فهي بالعكس من ذلك بناءة".[1]

يقول باشلار في فلسفة النفي أن العقل نشاط مستقل يطمح لأن يتكامل ويكمل في العقل العلمي الجديد وحتى يتسنى لنا بناء فلسفة مطابقة لعلوم العصر علينا أن نلحظ تأثير المعارف العلمية على بنية العقل وهذا ما لم تلحظه الفلسفات التقليدية.[2]

ويتضح لنا من هذا أن باشلار قد تأثر بفلسفات عصره وبتصوره هذا للعقل فهو يطرح طرحا جديدا لم تتركز عليه الرؤى الفلسفية الكلاسيكية.

تأثر باشلار من خلال مجاله الفلسفي بفلسفة " برونشفيك"، فهذا الأخير كان يتبنى فهما تطوريا للعقل يعارض به تماهي العقل وثباته لدى الفلسفات التقليدية، وهو لم يأخذ عنه إلا هذا التصور فقط لأنه يخدم مباشرة مشروعه الفلسفي.[3]

فالعقلانية التطبيقية عند باشلار تعترف بازدواج عنصري " الخيال و العقل" في الموقف العلمي ولكنها باعتبارها مذهبا علميا خالصا تنحى بالخيال جانبا وتنتقي العقل.

ومن مظاهر الجدلية نأخذ على سبيل المثال الهندسة اللاأقليدية وجهت "لا" إلى الهندسة الإقليدية بمثابة نفي أن تكون الأخيرة صالحة لاستلهام صورة الهندسة الكونية الصحيحة، وعلى ذلك تضمنت الهندسة الإقليدية وأبقتها صالحة التطبيق في الحدود المكانية الخاصة.[4]

---

[1] رافد قاسم الهاشم: ابستمولوجيا المعرفة العلمية عند غاستون باشلار، مرجع سابق، ص292.

[2] رافد قاسم الهاشم: ابستمولوجيا المعرفة العلمية عند غاستون باشلار، مرجع سابق ، ص 213.

[3] السيد شعبان حسن: برونشفيك وباشلار – بين الفلسفة والعلم-، مرجع سابق، ص 121.

[4] كريم موسى: فلسفة العلم – من العقلانية إلى اللاعقلانية-، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 202.

فالهندسة اللاأقليدية لم تنف الهندسة الإقليدية وإنما جاءت بالجديد وتضمنت الهندسة الأقليدية في كل ما جاءت به.

فالنسق الإقليدي كان يقوم على مصادرة التوازي وهذا ماجاء في قول " إقليدس": " من نقطة خارج مستقيم يمكن رسم مستقيم واحد موازي لها"، على عكس ماجاء به النسق اللأقليدي، يعني أنهم مشوا من نفس النظرية ولم يكن نفيا قاطعا.

كما وأن المتمعن في فكر وفلسفة باشلار يلاحظ بشكل واضح الطابع النقدي، فهو لم يكف عن مهاجمة الفلاسفة والمذاهب الفلسفية المختلفة على امتداد عقود طويلة.

ففي كتابه العقلانية التطبيقية، ينتقد " باشلار" المذهب المثالي* والواقعي*، فـــ" كانط" مثلا اهتم في ميدان المعرفة بالبحث في الشروط التي تجعل المعرفة الموضوعية ممكنة ولكن باشلار فضل انه لم يبن نظرية في المعرفة تحاول تأسيس العلم وتطويره كما تفعل الفلسفات المثالية، كما يرفض " باشلار" التدخل الفلسفي في العلم وقد نوه في فلسفة النفي إلى عقم استخدام الانساق الفلسفية وخاصة التفكير العلمي في فهم تطور الفكر العلمي، لأن هناك تعارض بين خاصية الانساق الفلسفية وخاصية التفكير العلمي، فالأنساق الفلسفية تمتاز بغائيتها، بينما التفكير العلمي لديه حقيقة نهائية.[1]

* المثالي: نزعة فلسفية تقوم على رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معانيه، أنظر جميل صليبا: معجم صليبا، (ج2)، ص 336.

* الواقعي: الواقع الحاصل والواقعة ما حدث ووجد بالفعل، والواقعي هو المنسوب إلى الواقع ويرادفه، نفس المعجم، ص 552 .

[1] علي حسين كركي: الابستمولوجيا في ميدان المعرفة، مرجع سابق، ص 121.

هذا يعني بأن الفكر العلمي يختلف عن الفكر الفلسفي لأن الفكر العلمي تكون نتائجه يقينية وحقيقية تعتمد على وسائل علمية بينما التفكير الفلسفي يعتمد على التأمل والذات، هذا ما يجعل التفكير العلمي يتميز بتفتحه أمام انغلاق الفكر الفلسفي.

لم يتوقف باشلار عند هذا الحد بل تجاوز هذه المسألة على الفلسفات "العقلانية rationalisme"*، وتعداه إلى الواقعية التي ترى أن مصدر الحقيقة الموضوع المعطى في التجربة، معناه أنهم يعتبرون وجود واقع موضوعي خارجي مستقل عن معرفتنا، لذا أثبت " باشلار" أن الموضوع الذي تدرسه المعرفة العلمية المعاصرة هو الموضوع الذي يتم بناءه بتدخل من الفعاليات التقنية والفعاليات العقلانية.[1]

وتعتبر الفلسفة المفتوحة عند باشلار بمثابة فلسفة الفكر العلمي المعاصر والذي من أهم ما يتصف به هو التفتح، وقبول نظريات جديدة، فنجد " باشلار" في كتابه " العقلانية التطبيقية" يقول:"... تكون هذه العقلانية متفتحة بالقدر الكافي لتلقي تحديدات جديدة من التجربة...".[2]

فتفتح العقلانية الباشلارية يتحرك في اتجاهين" اتجاه الفلسفة" و"اتجاه العلم"، بالنسبة للعلم يظهر تفتحها في إعادة النظر في مبادئها لمسايرة نتائج العلم ويقول " باشلار" بهذا الصدد: "...والحق أن العلم يبدع الفلسفة وعلى الفيلسوف إذا أن يحور لغته لكي يترجم مرونة الفكر المعاصر وحركته".[3]

* العقلانية: أو العقلي وهو المنسوب إلى العقل ومن معاني العقل هو القول بأنه مجموع المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة كمبدأ عدم التناقض، انظر جميل صليبا: المعجم الفلسفي (ج2)، مرجع سابق، ص 87.

[1] علي حسين كركي: الابستمولوجيا في ميدان المعرفة، مرجع سابق ، ص 136.

[2] غاستون باشلار: العقلانية التطبيقية، مصدر سابق،ص 32

[3] غاستون باشلار: الفكر العلمي الجديد، مصدر سابق، ص 6-7.

أما تفتحها في اتجاه الفلسفة فيظهر في أخذها ما تراه مناسبا من مقولات ومفاهيم من الفلسفات الأخرى إذا كان ذلك مفيدا لفهم اكتشافات علمية جديدة.

إن ما نلاحظه هو أن الفلسفة المفتوحة قد شكلت محورا أساسيا في كتب باشلار خاصة في كتابه" الفكر العلمي الجديد" وكتاب " فلسفة الرفض"، حيث يتبين لنا بأن الفلسفة التي يدعوا إليها " باشلار" هي "الفلسفة المفتوحة"، وكل فلسفة أخرى تطرح أسسها كأنها لا تقبل المساس وتطرح حقائقها الأولى كأنها حقائق كلية وكاملة فكل فلسفة تتمجد بانغلاقها.

وأهم ما نستخلصه هو أن الفلسفة المفتوحة جاءت لتعالج التأخر الفلسفي مقارنة بفعالية العلوم، فأعطت بذلك الصورة التي يجب أن تكون عليها الفلسفة التي يستحقها العلم ، وبهذه الفلسفة تكون كل الموضوعات الفلسفية بالنسبة لباشلار مجموع انتقادات فهي ترفض كل تصور لا يجدل ويعتبر نفسه كاملا لا يقبل الانفتاح، فهذه التصورات يتم بناؤها على الدوام وباستمرار وهذا لا يتحقق إلا في إطار"الفلسفة المفتوحة".

خلاصة:

إن الابستمولوجيا الباشلارية أرادت تكوين عقل علمي جديد، قائم على قيم الثقافة العلمية المتجددة، باستمرار، تنقضي به العقل التقليدي الذي يعمل وفق مبادئ منطقية صارمة، كما أننا نجد أن الابستمولوجيا الباشلارية ليست مجرد محاولة توفيقية بين الفلسفتين العقلانية والتجريبية، بل من خلال التكامل الموجود بينهما، فكل طرف مكمل للآخر .

الفصل الثاني: التحليل النفساني للمعرفة العلمية الموضوعية عند باشلار.

تمهيـــد.

المبحث الأول: عناصر التحليل النفساني الباشلاري.

المبحث الثاني: الموضوعية العلمية والتحليل النفساني.

أ- العوائق الابستمولوجية.

ب- القطيعة الابستمولوجية.

خلاصة.

تمهيد:

إن الابستمولوجيا التي يبشر بها " باشلار" من حيث هي تعمل على إبراز القيم والمبادئ العلمية الثورية وأثرها على بنية الفكر، لا يمكنها الاضطلاع بمهمتها هذه إلا بالتركيز على حركة تطور الفكر العلمي في مختلف مراحله، فتاريخ العلم يشكل رافدا أساسيا يمكن العمل الابستمولوجي من الوقوف أمام القيم الابستمولوجية في كل مرحلة من تطور الفكر العلمي، من أجل تحليلها ونقدها وإصدار الأحكام حولها.

ثم هذه المهمة الإبستمولوجية لـــ" باشلار" لا تكتمل إلا بما يدعوه " باشلار" بالتحليل النفسي للمعرفة الموضوعية، وهذا من أجل تحليل باطن العمل العلمي من حيث أن له تأثير مهم في حركة العمل العلمي دون وعي من العالم الباحث، إن هذا التأثير من شأنه أن يعيق السير الطبيعي للفكر العلمي في بحثه وفهمه للظواهر التي يدرسها.

إن هذا التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية من شأنه أن يكشف عن بعض المظاهر للمعرفة الموضوعية ويتيح فرصة فهمها بشكل أوضح، لا سيما وأن تحقيق الموضوعية فيها في الواقع أمر يطرح قدرا كبيرا من الصعوبة أو تتوقف أو تعرف شيئا من النكوص، فإن هذا يشكل عائقا ابستمولوجيا يعترض سبل تقدم المعرفة العلمية كما يرى " باشلار" مما يقتضي الكشف عنه وعن مختلف أشكالهن وهذا ما يكفله لنا التحليل النفسي.

هذا ما يمكن أن يضعنا في صميمه هذا الفصل بشيء من التحليل والتفصيل، مما يمكننا من بلورة رؤية أكثر وضوحا وشمولية حول العقلانية الباشلارية.

مما يجعلنا نتساءل: **فيما تتمثل عناصر التحليل النفسي؟ وما هدف التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية؟**

المبحث الأول:عناصر التحليل النفساني الباشلاري:

قبل أن نتطرق إلى عناصر التحليل النفساني الباشلاري لا بد لنا أن نوضح أولا جذور التحليل النفسي الذي بدأ مع الطبيب النمساوي " سيغموند فرويد" الذي يعد مؤسس مدرسة التحليل النفسي في اكتشاف تلك الحقيقة، وهي " أن جزءا كبيرا من حياتنا العقلية لاشعوري، وأن لهذا الجزء اللاشعوري من حياتنا العقلية تأثيرا كبيرا على سلوكنا ومشاعرنا سواء في حياتنا السوية أو فيما نتعرض له من اضطرابات وأمراض نفسية"[1].

هذا يؤدي بنا إلى القول أن اللاشعور هو أساس الجهاز النفسي " أنه محيط الواسع الذي يحتل الشعور جزءا محددا من سطحه، لأنه كل ماهو شعوري، إنما يأتي نتيجة لسلسة من التمهيدات اللاشعورية"[2].

من هنا نرى أننا لا نعرف عن حقيقة العالم الخارجي إلا ماتصوره لنا حواسنا، فليس هناك ما يثبت لنا أن ما تراه أصفر اللون هو أصفر في حقيقته فعلا، فكل مانملكه من وسيلة للتعرف إلى العالم الخارجي هو تصوير حواسنا لتلك الأشياء الغريبة عنا وكذلك بالنسبة إلى اللاشعور فنحن لا نعرف مابه من حقائق إلا عن طريق مايصوره الشعور من تلك الحقائق أو الموجودات.

أقام فرويد نظريته في التحليل النفسي على أنه ينقسم إلى ماهو شعوري وماهو لاشعوري، إلا أننا نرى في بداية أبحاثه المتعلقة بالحياة النفسية، فقد ذهب فرويد إلى القول بوجود ثلاثة أقسام أو أجزاء رئيسية للجهاز النفسي هي: الشعور، ماقبل الشعور و اللاشعور.

---

[1] سيغموند فرويد: الأنا والهو، ترجمة د محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1982، ص 12.

[2] سيغموند فرويد: تفسير الأحلام، تبسيط وتلخيص، د نظمى لوقا، كتاب الهلال، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال، العدد 137، اوت، 1962، ص 189.

الشعور: هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي جميع العمليات النفسية ويسمى "الأنا"[1].

هذا يعني بأن الشعور هو ذلك القسم من العمليات النفسية التي نشعر بها وندركها، كما أن الشعور هو الربط بين الإنسان والعالم الخارجي عن طريق مختلف الإحساسات والادراكات المختلفة.

ما قبل الشعور: هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يقع في مكان متوسط بين القسمين السابقين.

ولكي يتضح أكثر نجد أن ماقبل الشعور تكون المسافة الرابطة بينه وبين الشعور قريبة جدا منها إلى اللاشعور ذلك أن الحالات التي تدخل في نطاق ماقبل الشعور لديها استعدادا لأن تصبح شعورية.

اللاشعور: هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي جميع العمليات اللاشعورية ويسمى الهو [2].

يتضح لنا أن اللاشعور يحوي الدوافع الغريزية البدائية الجنسية والعدوانية التي غالبا تكبت في مجتمعاتنا المتحضرة تحت تأثير المعايير الخلقية والدينية والاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد وتنزع الدوافع والرغبات المكبوتة في اللاشعور إلى الإشباع وإلى الظهور في الشعور، وهي كثيرا ماتلجأ في سبيل ذلك إلى طرق شاذة ملتوية كما نشاهد مثلا في الأمراض العصابية، إذن نستمد مفهومنا عن اللاشعور من نظرية الكبت[3].

على هذا الأساس أقام فرويد نظرية التحليل النفسي في دراسة التطور الفردي للوجود الإنساني، وقد أطلق على أقدم هذه المنظمات النفسية إسم الهو:" وهو كل موروث، كل مايظهر عند الميلاد"[4].

---

[1] سيغموند فرويد: الأنا والهو، مرجع سابق، ص 15.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه ، ص 28.

[4] سيغموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمد علي عبد السلام القفاش، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، د ط، 2000، ص26.

يعني هذا أنه الأصل في تكوين الشخصية لأنه يتكون من غرائز موجودة منذ الولادة، أي أن الإنسان له رغبات فطرية ولدت معه، بحيث يرى فرويد أن الهو هو الأصل في تكوين الشخصية بخلاف الأنا والأنا الأعلى، فما دورهما في تكوين الشخصية الإنسانية؟.

الأنا: يسيطر الأنا على الحركات الإرادية نتيجة للعلاقة السابقة في التكوين بين الإدراك الحسي والفعل العضلي، كما يقوم بمهمة حفظ الذات[1].

يرى انه بقدر ما ينفصل الأنا الأعلى عن الأنا أو يعارضه فهو يكون قوة ثالثة ينبغي على الأنا أن يعمل على حسابها، ومن هذا نستخلص وظيفة الأنا التي تتمثل أساسا في تنفيذ أوامر الأنا الأعلى فهو يلعب دور الوسيط بين الهو والأنا الأعلى ويحاول التوفيق بين كل متطلباتهما مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأنا الأعلى نشأ أساسا ليحارب الهو .

الأنا الأعلى: هو ذلك الأثر الذي يبقى في النفس من فترة الطفولة الطويلة التي يعيش فيها الطفل معتمدا على والديه وخاضعا لأوامرهما ونواهيهما [2].

هنا يعتبر فرويد أن الأنا الأعلى نشأ بتمدن الإنسان وتحضره، فهذا التحضر خلق مجموعة من الضوابط والقواعد والأنا الأعلى وظيفتها كبح رغبات الهو التي تتعارض مع متطلباته وأوامره وهو لا يقوم بهذه المهمة بل يستند إلى الأنا ويكتفي فقط بفعل المراقب لأنه نابع أساسا من الواقع حيث يعتبر فرويد وريث " عقدة أوديب" أي قبل حادثة أوديب كانت الحياة همجية لا وجود لمحرمات أو نواهي حتى وقعت جريمة قتل أوديب لوالده وهنا بدأت بوادر الحياة الأخلاقية ، الأب هو الذي منع رغبات الهو من التحقق، وهو نفس الدور الذي لعبه الأنا الأعلى فيما بعد لتأثير الهو.

[1] سيغموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، مرجع سابق، ص26.

[2] سيغموند فرويد: الأنا والهو، مرجع سابق، ص 17.

إذا كانت هذه هي أهم النقاط التي بنى عليها " فرويد" منهجه فإن الأمر يختلف عند"باشلار"، إن ما يميز التحليل النفسي الباشلاري هو تركيزه على المعرفة العلمية الموضوعية، وهذا بخلاف التحليل النفسي الكلاسيكي الذي يركز أساسا على الاستنتاجات النفسية الفردية التي تتحدد من خلال الحياة النفسية الاجتماعية والحياة العائلية.

فـــ " باشلار" لا يركز اهتمامه على تفسير أعماق اللاشعور كما يفعل التحليل النفسي الكلاسيكي الذي تولى دراسة الأساطير والميتودولوجيا، بل كما يقول " باشلار" في كتابه "تحليل النار": " إن من حسنات التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية الذي نقدمه هو بمنطقة أقل عمقا من المنطقة التي تبسط فيها الغرائز البدائية..." [1].

إن " باشلار" يعيب على التحليل النفسي التقليدي الذي ركز اهتمامه لتفسير اكتشافات ماقبل التاريخ لأنه يراه غير ملائم لذلك، كما يعيب عليه تجاهله المتغيرات العلمية.

إن هذه الصورة للتحليل النفسي تعكس ما يسميه " باشلار" بالتحليل النفسي المباشر والذي يعوضه بتحليله النفسي غير المباشر، حيث يركز بحثه في اللاشعور من خلال الشعور وليس العكس، أي أن نركز على البداهة الموضوعية من أجل الكشف عن القيم الذاتية، إنه يجب البحث عن الهاجس في الخبرة وهذا ما يتضح من خلال قوله: "...فالفكر عند الإنسان البدائي هو هاجس مركز والهاجس عند الإنسان الثقافي هو فكر ممدد" [2].

لقد اهتم "باشلار" اهتماما بالغا بمفهوم "العقدة compléxe" مخالفا تماما ما جاء به "فرويد"، بحيث كانت العقدة عند "سيغموند فرويد" ذات طبيعة عصابية، "، وأخذت عند " باشلار" معنى أوسع

[1] غاستون باشلار: النار في التحليل النفسي، ترجمة نهاد خياطة، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1984 ، ص 15.

[2] المصدر نفسه، ص 25.

فأصبحت تعبر عن مجموع الأفكار والصور غير واضحة والتي تكون بمثابة عائق أمام الفكر وبالتالي أمام تطور المعرفة الموضوعية العلمية.

يرى "باشلار" بأن العامل الاجتماعي قد كان له دور في ظهور الأفكار التي تؤلف المعرفة، فظاهرة "النار" فهمت ككائن اجتماعي أكثر مما هي كائن طبيعي[1] وليس من الضروري أن نقوم بتطوير اعتبارات المجتمعات البدائية حول دور النار، بل يكفي أن نعتمد على علم النفس الوضعي في درسنا للإنسان المتحضر تكوينا وثقافة، و يكون هذا عن طريق التلقين لا عن طريق الطبيعة [2]، فالفكر البدائي وظف النار كرادع اجتماعي و أخلاقي، و " الواقع أن الوازع الاجتماعي هو الأول، أما الخبرة الطبيعية فلا تأتي إلا في المحل الثاني ومعها برهان مادي مرتجل".[3]

هذا يعني بأن هذا الوازع الاجتماعي لا يسمح بتأسيس معرفة موضوعية ويثير نوعا من الغموض.

إن النار باعتبارها كائن طبيعي تعبر عن الذكاء الأبوي والذي يجب أن يتخذه الابن كمثال له يقتدى به ويتعلم منه القيم الاجتماعية، فاللاشعور الجماعي الذي ارتبط بالنار يفسر لنا أيضا كيفية نشأة اللاشعور الشخصي، فهذه النواهي الاجتماعية تدفع الطفل إلى العصيان فحب الاطلاع يشجع الطفل إلى تقليد والده لإشعال النار، وبالتالي يكون هناك تلاق بين الطبيعي والاجتماعي حيث يكاد الاجتماعي أن يكون هو السائد.

لقد احتلت العقدة في فكر "بشلار" مكانة وسطى بين ما هو شعوري وما هو لاشعوري، وهذا ماجعلها تساعد في نمو الفكر العلمي وتمدده.

---

[1] غاستون باشلار: النار في التحليل النفسي ، مصدر سابق، ص 13.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص 14.

إن حب معرفة الحقيقة لدى الإنسان هو ما يؤدي به إلى عقلنة التخيلات والأفكار الغامضة و إضفاء صفة المعقولية عليها ويتضح هذا من خلال قوله " ...إن في الإنسان إرادة حقيقة للعقلنة" [1]

فحاجة الإنسان إلى الفهم ليست بالضرورة واقعة تحت الإعتماد المطلق على مبدأ المنفعة أي من خلال تحقيق المنافع المادية كما فعلت ذلك البراغماتية (الذرائعية) والبرغسونية.

فعقدة " بروميتيوس" هي:" ... جميع الميول التي تدفعنا إلى المعرفة بمقدار آبائنا و أكثر منهم، بمقدار معلمينا و أكثر منهم" [2] .

هذا يعني بأنه يمكن اعتبار عقدة بروميثيوس بأنها دوافع نفسية وعقلية تحثنا على التعمق في المعرفة وبالتالي فإن إرادة العقلنة المستمرة للمفاهيم تغدوا الصفة الأساسية لنمو المعرفة البشرية.

يتضح لنا بأنه في التحليل النفسي القديم ننتقل من التحليل النفسي للظاهرة إلى تفسير الظاهرة نفسها من خلال الأحلام وحالات الصرع وعمليات التفكير وهي ظواهر تتعلق بالشخص، بينما التحليل النفسي عند "باشلار" موجه لدراسة نظرية علمية أو مفهوم علمي، أي أنه يقصد دراسة بنيات العلم دون تحليل شخصية العالم.

من المعروف أن المنهج الذي اتخذه " باشلار" هو المنهج السيكولوجي، فأراد بمنهجه السيكولوجي تقديم منهج لفلسفة العلم تستطيع بواسطته الوصول إلى الكيفية التي تكون بها العقل العلمي والعوامل الذاتية المؤثرة فيه [3].

وعلى هذا الأساس السايكولوجي قسم "باشلار" حالات النفس إلى ثلاث حالات بمماثلة مع حالات العقل العلمي الثلاث السالفة الذكر وتتمثل حالات النفس عند " باشلار" فيما يلي:

---

[1] غاستون باشلار: النار في التحليل النفسي، مصدر سابق، ص 15

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] كريم موسى: فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، مرجع سابق، ص 213.

❖ هناك حالة النفس العامية أو العادية " المتحركة بدافع حب الاستطلاع الساذج، المصابة بالدهشة أمام أدنى ظاهرة آلية، والتي تتعاطى مع الفيزياء لأجل التسلي لكنها تتدرع بموقف جدي" [1].

يتضح لنا بأن هذه الحالة تقابل الحالة ما قبل العلمية للعقل العلمي.

❖ هناك النفس المعلمة التي هي " فخورة جدا بمعتقداتها، متحجرة في تجريدها الأول، تستند مدى الحياة إلى نجاحات شبابها المدرسية وتكرر معرفتها كل عام، وتفرض براهينها وتخصص كل شيء للاهتمام التربوي، تؤيد السلطة وتعمل على خدمتها كما فعل ديكارت، أو تعلم بأن كل شيء صادر عن البورجوازية" [2].

هذه الحالة تقابل الحالة العلمية للعقل العلمي وفق تقسيمات " باشلار".

❖ وهناك أخيرا الحالة التي تقابل مرحلة العقل العلمي الجديد وهي وعي علمي متألم، يسترسل في الاهتمامات الاستقرائية الناقصة باستمرار، ويلعب لعبة الفكر الخطرة بدون مرتكز تجريبي في حقل خاص بالتجريد، لكنها واثقة جدا من كون التجريد واجبا، وأنه هو الواجب العلمي، والامتلاك النقي الأخير لفكر العالم [3]".

ثم يمضي " باشلار" قدما في منهجه السايكولوجي ليحدد العوائق الذاتية التي تقف عائقا أمام العقل العلمي والمعرفة الموضوعية، وهذا ما سيتضح في المبحث الموالي.

---

[1] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 10.

[2] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص 10-11.

المبحث الثاني: الموضوعية العلمية والتحليل النفساني:

إن سبب تأخر المعرفة الموضوعية العلمية يعود أساسا إلى مجموعة من القيم اللاشعورية، ولقد أطلق عليها " باشلار" اسم " العوائق الابستمولوجية"، إن غاية التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية هو الكشف عن تلك العوائق الابستمولوجية لمعالجة العلم من الركود والنكوص.

من هنا يبرز مصطلح العائق كمفهوم ابستمولوجي في العمل العلمي، من صميم العملية المعرفية ذاتها، فهو ليس عنصرا دخيلا يأتي من خارج النشاط المعرفي، إنه لا يتعلق بالشروط الخارجية لهذه العملية كما لا يتعلق بالحواس ولا التفكير، من حيث أنهما يشكلان وسيلتين ذاتيتين، وهذا ما يظهر لنا في كتاب "تكوين العقل العلمي" لـــ " باشلار" الذي يرى أن مفهوم العائق يتشكل من خلال بروز مرحلتين أساسيتين بفضلهما تكون المعرفة متقدمة ألا وهما : مرحلة الركود ومرحلة الإنطلاق، وهذا ما يتضح من خلال مقولة "باشلار" "إن فكرة الانطلاق من الصفر لتأسيس ملكوت العقل وتطويره، ولا يمكنها أن تصدر إلا عن ثقافات ذات تركيب بسيط، حيث أن واقعة معروفة تكون ثورة على الفور" [1].

هذا يقودنا إلى القول أن باشلار يدعوا دائما إلى التجديد ويعارض أن يكون حصول المعرفة إنطلاقا من الصفر.

لم نتوقف عند هذا الحد فقط، فنجد أن العوائق هي كل ما يبقى الفكر سجينا لتصورات المعرفة العامة ويمنعه من بلوغ معرفة موضوعية للظواهر التي يدرسها الآن وجود عقبات معرفية يجعل مهام عالم المعرفة ومؤرخ العلوم مختلفة ومتباينة، فتاريخ الفكر العلمي هو تاريخ أخطاء وعقبات، وقد أكد " باشلار" في كتاباته على الاهتمام بالخطأ في دراسة الممارسة العلمية، بل في تاريخ تكونها وتطورها، ونلمس هذا في قوله: " عندما نبحث عن الشروط النفسانية لتقدم العلم، سرعان ما نتوصل إلى هذا

[1] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 13.

الاقتناع بأنه ينبغي طرح مسألة المعرفة العلمية بعبارات العقبات، وأن المطلوب ليس اعتبار عقبات خارجية مثل تركيب الظواهر وزوالها، ولا إدانة ضعف الحواس والعقل البشري [1].

وهذا يبين لنا أن العائق لا يظهر أبدا في شكل حاجز خارجي وقف بين الذات والموضوع يمنعها من الوصول إلى حقيقته لذا وجب العمل على إزاحته، بل هو على العكس من ذلك فهو حاجز نفسي ذاتي، كامن في باطن الباحث، هذا يمنعه من الوصول إلى حقيقة الشيء من أجل الوصول إلى حقائق موضوعية، وهذا يجعلنا نبحث عن فحص المعرفة داخل النفس لا من خارجها، لأن العائق يكمن في داخل الفكر نفسه وفي صميمه، ولكي نتجاوزه علينا العمل على تحطيم هذا الحاجز وفق آلية الوعي.

هكذا تضعنا مسألة المعرفة العلمية أمام ضرورة اعتبار شتى العوائق المختلفة التي يجب تجاوزها، وهي عوائق يدعونا "باشلار" إلى تعيينها على مستوى الفعل الفكري المعرفي ذاته، فلا يمكن أن يدعي أي باحث إلى أنه توصل إلى نتائج موضوعية دون أن تتحكم فيه نزعات أو غرائز داخلية، حتى إن لم يكن قد عرفها فهي تقف كالستار أمام بلوغه للمعرفة الموضوعية.

ومن هنا يظهر دور التحليل النفسي في عملية تحليل المعرفة الموضوعية، وينطلق التحليل النفسي من فرضية عامة هي فرضية اللاشعور، ويعني ذلك بالنسبة إلى المحلل النفسي أن فهم الحياة النفسية يقتضي ألا نقف على الجانب الظاهر منها أي الشعوري، لأن الأمر يقتضي اعتبار الجانب اللاشعوري من الحياة النفسية التي يتم كبته لعدم إمكان تحققه [2].

هذا يعني أن باشلار استغل فرضية اللاشعور ليكشف عن جانب مهم من الحياة النفسية التي يعيشها الباحث.

---

[1] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 13.

[2] محمد وقيدي: ماهي الابستمولوجيا؟، مرجع سابق، ص 216.

كما أننا نجد حتى أولئك الذين أبدعوا نظريات علمية لم يسلمو من تأثير الأحلام اللاشعورية على أعمالهم، لذا يقول " باشلار" في كتابه " شعلة قنديل": "... فمهما كانت كبيرة العقول التي اشتعلت على فيزياء النار، فهي لم تستطع قط أن توفر لأعمالها موضوعية علم من العلوم، فحتى لافوازيه ظل عنده لكي يحدد نظاما للأفكار" [1].

يتضح لنا أن هدف التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية هو الكشف عن المكبوتات "العوائق" من أجل تحديد مدى أثرها على العمل العلمي، لأن المكبوتات العلمية أو ما يدعوها " باشلار" بـــ " العوائق الابستمولوجية" لا يمكن أن تعتبر شيئا يتكون خارج العمل العلمي، لأن المعرفة العلمية تجري ضمن شروط نفسية.

وهذا يقودنا إلى القول أن العوائق لا يمكن أن تلعب دورا سلبيا في عملية المعرفة، بالرغم من أن العوائق الابستمولوجية في مظهرها تعطل العمل المعرفي، إلا أنها تساعد الباحث على تخطي الجمود والبحث عن الجديد، لذا يقول باشلار: " دور أو قيمة المكبوت العقلي في تحريك ديناميكية المعرفة بالرغم من أن العوائق الابستمولوجية في مظهرها تعطل العمل العلمي أو توقفه أو نكوصه، فإنها مع ذلك ناتجة عن صيرورة هذا العمل العلمي ذاته، وهذا معناه أنه لا يمكن أن يكون هناك عمل علمي دون أن تكون هنالك عوائق ابستمولوجية، رغم أنها تتخذ لبلوغ هدفها طريق التداخل مع المعرفة العلمية واللغة العلمية"[2].

وبما أن المحلل النفسي يحاول أن يتبع مظاهر الشعور لكي يكتشف من خلالها الرغبات والميول والدوافع اللاشعورية، فكذلك "باشلار" حاول أن يقوم بمثل هذا التحليل بالنسبة للمعرفة العلمية، وهذا يجعل التحليل الابستمولوجي يفيد من التحليل النفسي.

---

[1] غاستون باشلار: شعلة قنديل، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1995، ص 18.

[2] محمد وقيدي: العلوم الإنسانية والإديولوجيا، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 173.

لقد تحدث " باشلار" عن العائق وبإسهاب في كتابه " تكوين العقل العلمي، مساهمة في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية" ، والذي جعل كل فصل منه شرح لنوع من أنواع العوائق التي يمكن أن يتخذها ضمن تاريخ تكون المعرفة العلمية.

أ- العوائق الابستمولوجية:

من بين أهم العوائق التي تواجه الباحث نذكر:

1- العائق الأول: (la première expérience)، فالتصنيف الباشلاري هو ما يدعوه "بالتجربة الأولى أو الخبرة الأولى، فهو لا يشك في أهمية التجربة الأولى أو الخبرة الأولى، لكنه يدعو إلى عدم التوقف عندها وتجاوزها، لذا يقول " باشلار": " اختبار الموضوع قبل النقد وفوق النقد، الذي يعتبر بالضرورة عنصر من عناصر القول العلمي، فلا يمكن للاختبار الأول في أي حال من الأحوال أن يكون سندا موثوقا" [1].

يتضح لنا من خلال هذه المقولة أن كل معرفة علمية يجب أن تأتي في نظر "باشلار" ضد لكل تجربة أولى، لذا نجده ينادي بتجاوز وتصحيح أخطاءها، فالجديد لا يأتي إلا من خلال الخروج عن الموروث، وذلك لا يتحقق إلا من خلال الجدل والنفي المستمر، وفي هذا يقول " باشلار": " ...إن إحساساتنا بالماضي هو إحساس بالنفي والهدم، وإن الاعتبار الذي يوليه عقلنا لديمومة موهومة لها والتي لا يكون العقل فيها وجود اعتبار لا قيمة له" [2].

[1] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 21.

[2] غاستون باشلار: حدس اللحظة، ترجمة رضا عزوز وعبد العزيز زمزم، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، بغداد، الدار التونسية للنشر، طبعة خاصة، 1986، ص 26.

ومعنى هذا أن على العقل أن لا يبقى حبيس موروث موهوم، فهذا التراكم الفكري والثقافي بقدر ما يساعد على إغناء الوعي، يعمل أيضا على إعاقة تقدمه.

هذا يعني أن المعارف والتجارب الماضية دائما - حسب باشلار- سيئة الصنع، لأن الماضي كله مكون من أخطاء، كدستها المحاولات الأولى لعلماء فاقدي الخبرة، وكذا للوسائل الضرورية للبحث العلمي.

2- العائق الثاني: (la connaissance commune) هوالرأي العام، أو المعرفة العامة، فهي تحمل إلينا وعيا خاطئا، ولذا يجب التخلص من الرأي العام، وذلك لأن شيوع فكرة ما يعطينا انطباعا بأنها صحيحة وهي على العكس من ذلك تمثل الخطأ الأول الذي صدقه الناس، حيث يقول باشلار: " إن الرأي العام خاطئ لأنه يفكر بطريقة سيئة، بل إنه لا يفكر ولذا لا نستطيع أن نؤسس شيئا على الرأي العام، فلا مناص من تفويضه أولا، إنه أول عقبة يجب تخطيها" [1].

هذا يقودنا إلى القول أن الرأي العام لا يعطينا معرفة سابقة عن الواقع، لأن الرأي تقتضيه الضرورة والبداهة والحاجة الآنية لفهم ظاهرة ما قصد تحقيق غاية شريعة، وبهذا لا تكون هذه الأفكار تصورات واضحة ومتميزة.

فالعلم يعارض الرأي معارضة مطلقة وإنه إن حدث في قضية معينة أن اعترف العلم بمشروعية الرأي فإن ذلك يكون لأسباب أخرى غير تلك التي تأسس عليها الرأي، فالرأي يظللنا ويمدنا بأفكار قريبة من الخرافة، ويقدم " غاستون باشلار" مثالا على ذلك فنجده يقول: " ... لقد كان أرسطو يعلم أن الأجسام

[1] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 13.

الخفيفة كالدخان والبخار والنار واللهيب، تعود إلى مكانها الطبيعي في الأعالي، بينما الأجسام الثقيلة تبحث عن الأرض بشكل طبيعي"[1].

يتضح لنا أنه لكي نصل إلى كشف حقيقة سقوط الأشياء يجب أن نبدأ بنبذها، أي لا بد أن نعمل على إبطال ما هو سائد لنكتشف ما هو جديد، فنقترب بذلك إلى الحقيقة.

3- العائق الثالث: (Généralisation) يتمثل في خطأ التعميم أو ما يدعوه " باشلار" بـــ " التوسع المفرط في المادة المألوفة"، فالتعميم ينقل الفكر من تشتت الوقائع إلى وحدة القوانين التي تفسرها، غير أن التعميم لا يكون كذلك في كل الأحوال، فقد يكون التعميم متسارعا وبهذه الحالة يكون عائقا ابستمولوجيا يلعب في التفكير العلمي دورا معاكسا لدوره الديناميكي والمألوف، وكمثال على هذا، التعميم الذي نجده عند المربيين، فكي يبرز كيف يؤدي استقرار الوقائع الجزئية للقوانين العلمية يعمقون التجارب البسيطة على كل الظواهر، " فعلينا أن نتابع درس الميكانيك الأولى الذي يدرس سقوط الأجسام، لقد سبق لنا القول أن كل الأجسام تسقط بدون استثناء، ومع إجراء التجربة في الفراغ بواسطة أنبوب نيوتن نصل إلى قانون أعلى: في الفراغ تسقط جميع الأجسام بنفس السرعة" [2].

هذا يقودنا إلى القول أنه لا يعطينا الحق في الحكم على باقي الأجسام بأنها ستسقط بالضرورة، فهناك مسافة قصيرة بين الواقعة الجزئية والقانون العام.

العائق الاحيائي: (L'obstacle animiste)، يحدد لنا باشلار ما يقصده من لفظ العائق الإحيائي من خلال قوله: " إن المعارف البيولوجية (الاحيائية)، لا تستدعي انتباهنا إلا بوصفه عقبات أمام

[1] المصدر نفسه، ص 47.

[2] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 48.

موضوعية الفينومنولوجيا الفيزيائية، وبالتالي لن نهتم بالظواهر الإحيائية إلا في المجالات التي يخطئ العلم فيها، وحيث أن العلم الواثق نسبيا يأتي ليرد على أسئلة لم تطرح عليه" [1].

فالعائق الإحيائي كما يتحدد من خلال هذه الفقرة هو امتداد معارف حيوية (بيولوجية)، إلى ميدان غير ميدانها، بغية إعطاء تفسير إلى هذا الميدان الذي هو غير ميدانه الحقيقي، واعتباره منطلقا أساسيا في دراسة الظواهر الفيزيائية.

إن المعارف التي تنتج عنها في ميدانها، وفق شروط موضوعية، تظل معرفة موضوعية، ولتقريب التوظيف السيء لعلم البيولوجيا في غير ميدانه يسوغ لنا باشلار مثالا عن حديث علماء القرن الثامن عشر، عن المملكات الثلاث للطبيعة، النباتية، الحيوانية والمعدنية، فإن حديث العلماء عن العلاقات بين هذه المملكات، يكشف عن مدى الخلط الذي أوقعهم الحديث في فهم هذه الظواهر وتفسيرها، ولهذا فإن سيطرة الإحيائي في فهم الظواهر الفيزيائية، كالظواهر الكهربائية والمغناطيسية، قد حال دون الفهم الموضوعي لهذه الظواهر و إعاقة إكتشاف القوانين الخاصة بها [2].

إن التوجه الاحيائي هو الآخر عائق ساد الفكر القبل علمي، و أعاقه عن تحقيق معارف موضوعية، لذلك كان لابد من تجاوزه.

العائق اللفظي: (L'obstacle verbale)، يعد من العوائق الابستمولوجية التي يراها "باشلار" قد شكلت هي الأخرى حاجزا أمام تطور الفكر القبل علمي، وحالت دونه والموضوعية العلمية عائق يتعلق أساسا باللغة، او بظبط أكثر باللفظ، حيث يلعب العائق اللفظي دورا سيئا في إماعة المعنى، وخلق إلتباس، ومن أجل توضيح هذا العائق الابستمولوجي يستدعي لنا باشلار مثال الإسفنجة، وهو مثال شديد التعبير عن مداخل اللبس التي تتعلق بهذا العائق الابستمولوجي.

---

[1] المصدر نفسه، ص 119.

[2] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 190

ففي المثال الذي يسوقه لنا باشلار حول الإسفنجة، من أجل بيان التداخل اللفظي الذي طبع الفكر الماقبل علمي يوجهنا باشلار إلى مقولة لـــ"ريومورReaemur "، وردت فيها: " كان من الأفكار الشائعة جدا اعتبار الهواء كالقطن، كالصوف، كالاسفنج، أو اسفنجيا أكثر مما هي كل الأجسام الأخرى أو تجميعات الأجسام التي يمكن أن نقارنها به، وهذه الفكرة صالحة تماما لكي نفسر لماذا يتقبل الهواء الانضغاط بفعل الأثقال، ولماذا يمكنه أن يكون شديد الندرة والظهور في حجم يتخطى كثيرا الحجم الذي رأيناه فيه سابقا"[1].

فمثال الاسفنجة من حيث هو تعبير عن العائق اللفظي، هو صورة تعكس سذاجة الفكر قبل العلمي، ولأن المشكل يخص اللغة، فلا مناص من إعادة النظر فيها من أجل ظبطها، ورفع الالتباسات التي قد تنجم عن الإستخدام السيء لها، لكن يجب أن لا يفهم من هذا أن كل امتداد بلفظ أو مفهوم أنه عائق، وذلك لأن باشلار يميز بين نوعين من الامتداد، الأول سلبي ذكرناه كعائق يجب تجاوزه، والثاني امتداد تقتضيه الوقائع، يقوم على الموضوعية.

أما في الفصل السادس من كتابه الذي سبق ذكره، يظهر لنا " باشلار" أن آخر نوع من العوائق هو "**العائق الجوهراني" (l'obstacle substantialiste)**، والذي يعرفه بأنه عقبة متعددة الأشكال، فهي متكونة من تجمع الحدسيات الأشد تشتتا وتعارضا، فهو يعتبر أنه ثابت لا يتغير، تحمله عليه الصفات الأساسية والثانوية، السطحية والعميقة، تعد الخصائص الأساسية قوام الجوهر مهما تغيرت الأعراض.

إن الجواهر كنموذج تفسيري عائق متعدد الأوجه، يقفا حائلا أمام تقدم الثقافة العلمية، إن التلاعب بالألفاظ في تسمية الظواهر يرضي الفكر الساذج بسهولة ولفظ (عمق) الجواهر من منظور

[1] المصدر نفسه، ص 61-62.

ابستمولوجي معاصر لا يعبر عن العمق فعلا بل العكس هو الصحيح، فالمعرفة العامية سطحية وليست عميقة وهذا ما يؤكده باشلار من خلال قوله : "يظل الشعور العميق شعورا سطحيا" [1].

نصل مما سبق ذكره أن الجوهر ثابت، إلا أن محتواه متغير على سبيل المثال القشرة (الشكل) صفة غير أساسية في الموجودات مثل التفاح والبيض، هذا يقودنا إلى القول بالأهمية الكبرى للمضمون.

نستخلص من خلال ما قلناه أن تحقيق الموضوعية العلمية يتطلب الاعتراف الصريح بأخطائنا الفكرية وبقصور معرفتنا، فنجد أن التحليل النفسي يساعدنا على تطهير فكرنا من هذه الأخطاء لكن لايكون فعالا إلا إذا مورس مساعدي من طرف تخصصي لذا يقول "باشلار": " ولأجل هذه البيداغوجيا النقية قد يلزم جمعيات علمية معقدة وجمعيات علمية تضاعف المجهود المنطقي بالمجهود النفساني" [2].

هذه هي أهم العوائق الابستمولوجية لسير المعرفة العلمية وتطورها، فحين تتجاوز المعرفة العلمية عوائقها في مرحلة معينة فإنها توجد لذاتها عوائق جديدة، لأن لكل مستوى من المستويات المعرفية العلمية، عوائق خاصة، والتي يتم تجاوزها عن طريق القطيعة الابستمولوجية عند " باشلار".

ب – مفهوم القطيعةالابستمولوجية:

يعتبر مفهوم القطيعة* الابستمولوجية مفهوما أساسيا عند الابستمولوجيين بما فيهم " باشلار"، وهو مفهوم يعبر في نظره عن فترات الانتقال الكيفي في تطور العلوم، فبقدر ما تحدث تلك الكيفية بقدر ما تحدث قطيعة ابستمولوجية بين الفكر العلمي الجديد والفكر السابق له.

---

[1] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 80.

[2] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 194.

*القطيعة: فكرة جوهرية وباشلار هو من أبدعها في إطار فلسفة جدلية، لتلعب فيها دورا محوريا، أنظر يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت، د ط، 2000، ص 391.

ويأتي هذا التصور ضدا على نظرية الاستمرارية كما نجده عند " مايرسون" و آخرين [1] من دعاة الاستمرارية، الذين يرون أن العقل الإنساني يظل هو ذاته عبر كل مراحل تاريخ الفكر العامي استمرارا للفكر العلمي المعاصر واستمرارا للفكر العلمي السابق له.

إذ يذهب القول بالاستمرارية على مستويين: المستوى الأول يقصد به الاستمرار من التفكير العامي إلى التفكير العلمي، والمستوى الثاني بين الفكر العلمي الجديد والفكر العلمي السابق له.

أما باشلار فهو يقول إن في تاريخ العلوم قفزات كيفية ينتقل بفضلها إلى نظريات جديدة، لا يمكن النظر إليها على أنها مجرد استمرار للفكر السابق، فبقدر ما تتحقق تلك القفزات الكيفية بقدر ما تتحقق قطيعة ابستمولوجية بين الفكر العلمي والمعرفة العامية [2].

ومن هنا يتضح لنا أن " باشلار" يصر على أنه لا يوجد هناك تواصل بين الماضي والعلم الراهن، فالجديد لا يؤكد حضوره إلا بتجاوزه للقديم، ويصنف باشلار مفهوم القطيعة الابستمولوجية إلى مستويين:

- **المستوى الأول:** تكون فيه القطيعة بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية.
- **المستوى الثاني:** تكون فيه القطيعة بين النظريات العلمية الجديدة والنظريات العلمية السابقة عنها.

يرفض باشلار النظرة الاستمرارية في تطور النظريات العلمية، والتي ترى بأنه يجب البحث عن أصول كل نظرية علمية في الماضي السحيق لتطور العلم الطبيعي، وتؤكد الاستمرارية على هذا المستوى بأن التفكير العلمي بدأ بسيطا، متعثرا، بطيئا في تقدمه، ثم عرف بعد ذلك تغيرات سريعة،

[1] محمد وقيدي: فلسفة المعرفة عند باشلار، مرجع سابق، ص 82.

[2] بوعزة ساهل: أوراق باشلارية، مرجع سابق، ص 33.

فهذا الطرح يعارضه كليا " باشلار" في حديثه عن تاريخ العلوم، الذي يتميز في نظره بأهم صفة وهي الانقطاعات المتكررة التي تشهدها نظرياته، لأنه يريد أن يبين بأنه في تاريخ العلوم هناك " قفزات تجعل العلم يبدع نظريات جديدة، لأن الجديد لا يؤكد حضوره إلا بتجاوز القديم، فليس هناك تواصل بين الماضي والعلم الراهن"[1].

كما أن الاختلاف يكمن أيضا في الموضوع المدروس، فالموضوع الذي يدرسه العلم المعاصر يختلف عن الموضوع المدروس في العلم الكلاسيكي، فموضوع العلم المعاصر ليس المعطى الحسي فحسب، بل يكون موضوعا للفكر في حد ذاته، وذلك مانلمسه في الأبحاث الجديدة التي دشنتها الميكروفيزياء " فنحن في سياق الفكر الأشد تآلفا وتماسكا، لا يمكننا الانتقال من جوهر إلى آخر بواسطة فكر متواصل، وبوجه أعم كيف لا نرى أي تمايز في المظهر وفي الهيئة هو علامة انقطاعات مطلقة" [2].

هذا يعني أن الموضوع يتم بناؤه من جديد دون أي اعتبارات واقعية بهذا المعنى تعد ابستمولوجيا "باشلار" نموذجا جديدا، حينما يستغل مفهوم القطيعة في لحظات مختلفة في وصفها لتطور العلم، أين أصبحت تتحدث عن مفاهيم لا استمرارية.

يرى باشلار أن العلم لا يقوم على منهج واحد، بل هو دائم البحث عن مناهج جديدة، فتقدمه مرهون بمدى قوة المنهج المستخدم، يكون تقدمه مرهون باستحداثه لطرق جديدة، هذه المناهج يكون بوسعها دائما مواكبة مستجدات الحقل المعرفي والعلمي ومواجهة الصعوبات التي قد يصطدم بها العقل لأن

[1] كوزان أندري، فرانسو غيري و آخرون: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة، لبنان، ط1، 1988، ص 76.

[2] غاستون باشلار: جدلية الزمن، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط3، 1992، ص 38.

العقل العلمي دائم البحث عن الجديد، وسوف نلح هذه الواقعة وهي أننا لا نستطيع امتلاك خاصية العقل العلمي لطالما أننا غير متأكدين في كل لحظات الحياة الفكرية من إعادة بناء معرفتها بكاملها[1] .

وعلى الرغم من أن باشلار يقول بالقطيعة الابستمولوجية إلا أنه في الوقت نفسه لا يرفض النظريات السابقة لذا يقول " لدى الإنسان الجديد آثار من الإنسان القديم" [2]

ومن بين مظاهر القطيعة بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية نجد أن تاريخ العلوم في نظر دعاة الاستمرارية لا يتجزأ من التاريخ العام ومنه أن العلوم المعاصرة لها أصول قديمة انبثق منها ولو بصفة بطيئة، إلا أن هذا القول لا يطابق في نظر" باشلار" واقع المعرفة المعاصرة.

فالعلاقة بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية هي علاقة انفصال قطيعة ابستمولوجية بين ما قبل وما بعد.

ولتوضيح ذلك أكثر يضرب لنا " باشلار" مثال المصباح:" المصباح الكهربائي الذي اكتشفه أديسون*، ليس استمرارا للمصباح العادي والتقليدي، بل هناك انفصال بينهما، فلو كان هناك استمرار في المعرفة العلمية، لكان هناك تشابه في تركيب المصباحين، لكن هذا لم يكن، فالمصباح الحديث أو مصباح أديسون، قائم على تقنية منع الاحتراق، فلكي ينتج النور يجب أن تعمل المقاومة الموجودة في المصباح على التخفيف من شدة التيار وتمنعه من المرور من خلالها لمنع الاحتراق، بينما كان المصباح القديم يعتمد على تقنية الاحتراق، أي حرق مادة ما (زيت، فتيل...) لتحقيق النور.

---

[1] غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، مصدر سابق، ص 09.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

* توماس اديسون (1847- 1937)، مخترع أمريكي، اكتشف المصباح الكهربائي سنة 1872، أنظر موريس شربل: موسوعة علماء الفيزياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 18-19.

وهذا ما يبرز بأن " الوحدة في الهدف لا في التركيب" [1] ، بمعنى أن غاية المصباحين هي أنهما يمكننا من الاشتعال في الليل.

أما مظاهر المستوى الثاني فهي تتجلى بين فرضيتين علميتين فرضية علمية جديدة تدحض وتفند فرضية علمية سابقة عنها، تثور قيم جديدة على القيم السابقة والبقاء للأصلح، والقطيعة هنا تكون بين نسقين لكنه لا تصل إلى حد الانفصال التام، بل تكون قطيعة احتواء وتضمن، أي العلم الجديد يتضمن العلم السابق عنه لأنه أوسع وأشمل.

فالقطيعة بهذا المستوى بقيت فقط تطبع النظريات العلمية، لأنها تعني انتقال الفكر من التفسير الضيق والقاصر لبعض الظواهر إلى تفسير أشمل وأوضح، فالنظرية اللاحقة تشمل وتحتوي السابقة ولا تنفيها نفيا مطلقا، بل تعمل على توسعتها لتتمكن من تفسير أكبر قدر من الظواهر المشابهة، ويكون ذلك على مستوى واقع النظرية وتطورها الموضوعي، ولا يمكن أن تكون مجرد حالة نفسية يشعر بها الباحث في أعماقه، حيث يقول " باشلار" : "...إن الانقطاعات أو النفي لا تظهر إلا كأساليب لتسهيل العرض، وهي نفسانيا تقع في الفكر المفصح عنه، لا في صميم النفسانية ذاتها" [2]، فباشلار يرفض أن تكون هناك استمرارية بين المعرفة الحسية والمعرفة العامية، وكذلك يرفض الاستمرارية داخل الفكر العلمي في حد ذاته، لأنه لا يمكن أن تتحقق علمية إلا بشرط الانفصال الكلي عن كل أنواع المعرفة الأخرى.

فالانفصال الابستمولوجي له طابع عام لا يمكن إنكاره وذلك ما تقرره نصوص كثيرة في كتابات "باشلار"، حيث يذهب في كثير منها إلى نفي وجود أي حقيقة أولى، بل كل ما هو موجود، فكر جديد

[1] محمد وقيدي: فلسفة المعرفة عند باشلار، مرجع سابق، ص 132.

[2] غاستون باشلار: جدلية الزمن، مصدر سابق، ص 20.

تخلص من عقبات قديمة، لأن المصدر الأول للمعرفة ليس خالصا والبداهة الأولى ليست حقيقة أساسية والوقائع الموضوعية العلمية ليست ممكنة إلا إذا سبقها قطع الصلة مع الموضوع المباشر.

وفي الأخير يمكننا القول أن القطيعة هي الوسيلة الوحيدة لإعطاء دفع جديد للعلم بعد مراجعته لمفاهيم علمية وبناء مفاهيم جديدة قوية أشمل من تلك التي عرفها الحقل المعرفي في المراحل الكلاسيكية.

خلاصة:

وخلاصة القول يمكن اعتبار العوائق الابستمولوجية لدى باشلار عوائق عامية إن صح التعبير، ناتجة عن الاتصال التجريبي بالعالم الواقعي، وهو ما يدعوا في جميع الأحوال إلى عقلنة الظاهرة لإضفاء الصبغة العلمية عليها، وهنا إذا تتجلى الصيرورة العلمية لدى باشلار، حيث يعتبر أن العوائق ناتجة عن أصل واقعي ولتجاوزها لا بد من تركيبة عقلانية، فهو يحاول أن يقول بأن كل الأغلاط العلمية نتجت عن التطبيق السيئ للمناهج العلمية.

إن باشلار استعمل التحليل النفسي كأداة منهجية ليحلل بها طبيعة المعرفة العلمية، ويكتشف مكبوتات العلم ويتتبع مختلف المراحل التي يقطعها العلم في مسيرته التقنية، كما أنه استعمل القطيعة الابستمولوجية لأنه لم يكن بإمكانه أن يتقبل التاريخ العلمي على أنه مجرد تكديس للمعلومات، مؤكدا على دور الثورات العلمية في تحقيق قفزات نوعية يتم الانتقال بفضلها إلى نظريات جديدة لا يمكن أبدا اعتبارها استمرارا لنظريات سابقة عليها.

الفصل الثالث: العقلانية التطبيقية و أهم مميزاتها.

تمهيد.

المبحث الأول: مفهوم العقلانية التطبيقية الباشلارية.

المبحث الثاني: العقلانية التطبيقية في مقابل العقلانية النقدية.

المبحث الثالث: امتدادات العقلانية الباشلارية في الابستمولوجيا المعاصرة (روبير بلانشي).

خلاصة.

تمهـــــــــــيد:

إن العقلانية الباشلارية من حيث هي فلسفة مترجمة للنظريات العلمية المعاصرة، ومعبرة عن قيمها الجديدة، ومصححة في الآن ذاته لأخطاء الفكر العلمي السابق لها، تتحدد وتتأكد معالمها بدءا منها كمفهوم، من حيث أنها فلسفة تنبثق من داخل العلم ذاته لا من خارجه، ثم إنها تنمو وتتحرك وتتطور في إطاره كأفق مفتوح على التاريخ في حركة متجددة قوامها الجدل بين العقل والتجربة، المجرد والمحسوس، النظرية والتطبيق، ثم إنها من حيث هي مشروع ابستمولوجي يكشف ويترجم مختلف القيم والمبادئ التي تمخضت عن الثورات العلمية، مبرزا من خلال ذلك الهوة السحيقة التي تفصلها عن العلم السابق لها وعن الفلسفات التقليدية المعاصرة لها، يتضح ذلك من خلال جملة من القيم والمفاهيم التي تترجم لصورة التجاوز من المعطى إلى البناء كالعقل والواقع.

نحن لا نتوقف عند هذا الحد فقط، نجد أن هناك سمة التشابه بين المشروع الابستمولوجي الباشلاري وبين المشروع الابستمولوجي البلانشي، لا تكاد تخفى لا سيما اعتمادهما كلاهما على منهج النقد والهدم، نرى أن المشروع البلانشي يقوم هو الآخر على تجاوز العقلانيات الكلاسيكية، ممتثلا إلى مستجدات الثورة العلمية المعاصرة ومتبنيا لقيمتها الجديدة خاصة أن الثورة العلمية المعاصرة عرفت انقلابا جذريا على نظريات العلم الكلاسيكي، من هذا السياق نطرح تساؤلات مفادها:

ماهي الأسس التي تقام عليها العقلانية التطبيقية؟ وماهي امتدادات التصور الابستمولوجي الباشلاري في فلسفة العلم المعاصر؟

المبحث الأول: مفهوم العقلانية التطبيقية الباشلارية

يعتبر مصطلح العقلانية التطبيقية أحد المسميات المختلفة التي يطلقها " باشلار" على فلسفته، ولعل هذا المصطلح أكثر ملائمة في سياقه الإجرائي أمام مختلف الانتقادات التي وجهها " باشلار" لأهم اتجاهين عرفتهما الفلسفة، وهو الاتجاه العقلي والاتجاه الواقعي، فقد دخل الجدل العلمي على الفلسفة العقلانية ليجعلها تنزع إلى التطبيق، وتدخل في مبادئ الفلسفة التجريبية ليجعلها أكثر قبولا لمبادئ العقل.

لقد عاصر هذان المذهبان أهم التحولات التي عرفها العلم الحديث وحاول استيعابها، ورغم هذا باءت محاولتهما بالفشل، ولهذا عمل "باشلار" على رفض النزعة العقلانية البحتة، التي تقول بمبادئ أولية سابقة عن التجربة، كما رفض النزعة التجريبية أو الواقعية التي تتمسك هي الأخرى بالواقع كمصدر وحيد للمعرفة، وعمل على تجاوزهما بطرح فلسفة جديدة هي العقلانية التطبيقية.

إن التناقض الأساسي الذي لاحظه باشلار على هذه الفلسفات الكلاسيكية، هو محاولتها استيعاب مصطلحات علمية جديدة أنتجتها ثورات معرفية متوالية في قالب جامد وبمفاهيم تقليدية وهو الأمر الذي جعل هذه الفلسفات رغم سعيها المتكرر أن تمنح العلم المعاصر منظورا إليه من جهة الثورات المعرفية التي لحقت به الفلسفة التي سيحققها تفشل في مسعاها، وذلك راجع لابتعادها عن الروح الجدلية التي تجعلها تجدد الأفكار البعيدة عن ملائمة الجديد، وفي هذا الصدد يقول باشلار منتقدا الاتجاهين على السواء " إن التجريبية بدون قوانين واضحة، بدون قوانين متناسقة، بدون قوانين استنتاجية، لا يمكن افتكارها ولا تدريسها، وأن العقلانية بدون أدلة حسية، بدون انطباق على الواقع المباشر، لا يمكنها أن تقنعنا إقناعا تاما" [1].

[1] غاستون باشلار: فلسفة الرفض، مصدر سابق، ص 08.

حاول باشلار من خلال هذه المقولة أن يفسر تطور العلم عن طريق تكامل هذين الاتجاهين، في رأيه أنه لا يمكن لفلسفة أحادية الجانب أن تستوعب علما، فالعلم يحتاج إلى فلسفة مزدوجة القطب.

إن العلم بعد ما حصله من تطورات لم يعد مجرد ظاهرة ثقافية مهيمن عليها من طرف اتجاه فلسفي محدد، أو إنتاجا من انتاجات الفكر بإمكان الفيلسوف أن يستوعبه داخل قبول أكمل معنى و أوسع مقصدا، بل إن ترشيد العلم المعاصر أصبح يفرض الإقرار بضرورة وضع فلسفة للعلوم، بعيدة عن الحقيقة بمعايير الفلاسفة تسعى بحركة جدلية مطردة إلى طرد الفلسفة الكلاسيكية من مواقع كانت تحتلها في غيابها، فيجب البدء بتأسيس هذه الفلسفة التي تفتقر إليها، فنحن نفتقر إلى فلسفة العلوم، من شأنها أن تظهر لنا في أية شروط ذاتية وموضوعية معا، توصل الأسس العامة إلى النتائج الخاصة، ومع هذه الجدليات تولد الأسس الجديدة [1].

هذايقودنا إلى القول أن غاستون باشلار يرى أن الفلسفة التي يبحث عنها هي الفلسفة التي توفر له هذه الشروط ولا تسمح لنفسها بالركود إلى مقولات محددة مسبقا وهذه الفلسفة هي العقلانية التطبيقية.

ولفهم أوضح لهذه الفلسفة – العقلانية التطبيقية- وبشكل منهجي سنقوم بتحديد آليات النقد التي أسستها، لأن أي فكرة جديدة تطرح عند " باشلار" إلا وقد سبقتها آلية الهدم و إعادة البناء، فقد نقد " باشلار" الاتجاه العقلي والاتجاه الواقعي، ولهذا سنتفحص عن قرب هذه الانتقادات لتتضح لنا المعالم التي بنيت عليها العقلانية التطبيقية والتي استمدت تسميتها من خلال تكامل الاتجاهين.

سنبدأ بالإتجاه العقلاني، فقد اتسمت الفلسفات التقليدية من أفلاطون إلى كانط سمة العقل، باعتبار أن هذا الأخير حائزا بصفة قبلية على كل المقولات اللازمة لمعرفة عالمنا الخارجي [2] .

---

[1] غاستون باشلار: فلسفة الرفض، مصدر سابق، ص 08.

[2] سالم يفوت: العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص 65.

يتبين لنا من خلال هذه المقولة أنه لكي تصل إلى قمة النجاح لابد من الرجوع بها إلى طابع التجريد ولا يمكن الرجوع بها إلى الطابع الحسي لأن الحواس لا تعطينا إلا مبادئ عامة من المعرفة باعتبارها الوسيلة المباشرة في إتصالنا بالعالم الخارجي، بينما الطابع العقلي يقودنا إلى الفكرة الصادقة، والحقيقة فالفلسفة العقلانية تعتبر أن العقل كامل الصنع، لا يخضع لأي عملية جدلية مع الواقع.

والسؤال الذي توجهه فلسفة باشلار إلى الاتجاه العقلاني هو: هل تكون بالضرورة في حاجة إلى مقولات مسبقة وجاهزة لكي تفهم تطور الفكر العلمي الجديد؟ وكذا فهم النتائج المتوصل إليها.

لقد أجاب " باشلار" بنفسه عن هذا السؤال بالنفي في كتابه" فلسفة الرفض" حيث يقول: "ليس العقل أبدا ملكة تبسيط، إنه ملكة تستنير و تغتني وهو يتطور في اتجاه تركيب متعاظم" [1].

وليتضح لنا أكثر نفهم أن العقل دائما يستنير بتجربة تقام، فالعقل لا يمكن أن يبقى بمبادئ مطلقة، بل عليه إخضاعها لجدل الواقع، مثلا الفلسفة الكانطية كانت تعتبر لونا عقلانيا أكثر انفتاحا من باقي ألوان العقلانية التقليدية الأخرى لكونها أكثر مسايرة للفكر النيوتوني، لقد انهارت ولم تشفع لها مبادئ تلك الفيزياء أمام هذا التغير الحاصل.

لم يكتف "باشلار" عند هذا الحد بل ذهب إلى مناقشة بعض الفلسفات المعاصرة له، مثل فلسفة "برانشفيك" الذي يعتبر من المقتنعين بضرورة التعبير عن المضامين العلمية باللغة الرياضية الخالصة لأن الرياضيات هي أعلى درجة وصل إليها الفكر الإنساني، فالعقل لا يصل إلى الحقيقة إلا عن طريق العقل الرياضي وهذا في رأي برونشفيك الذي يمثل قمة المثالية في رؤية تطور لأفكار باشلار، ينقد هذه المثالية التي اعتمدت فقط على عقلانية "الرياضيات" وفي الوصول إلى المعرفة، وهذا من أجل تأسيس عقلانية نقدية جديدة.

[1] « La raison n'est e s'éclaire qui faculté une ,c'est sumlificatique de faculté une mullement croissante complicuté d'une le dans développe se elle s'enrienhussante » :G. bachlard : la phillosphie du non, essai d'une phillosophie du nouvel esprit scientifique, p.u.f,paris,3eme édition, 1998,p 28-29.

ومن هذا يتبين لنا أن " باشلار" نقد المذهب العقلاني نقدا كان لابد منه لإرساء موقف جديد من طبيعة العقل، فلم تجد صعوبة لنقده هذا المذهب لأن الفكرة في نظر الفلسفة العقلانية المطبقة تظل بدون قيمة خارج علاقتها الجدلية بالواقع، وهنا نجده يقول: " لا للقديم، بل هناك دوما معرفة جديدة ولكن هذه اللا ليست نهائية أبدا في نظر عقل يجيد مجادلة أصوله، ويكون بذاته في ذاته بنيات نوعية جديدة"[1] .

نستنتج من هذا بأنه يجب العمل على تجديد المذهب العقلي الكلاسيكي بل كل المبادئ التي قام عليها والتي لم تعد تقدم المرجعية الصحيحة للفكر العلمي .

لم يتوقف "باشلار" عند هذا الحد بل توجه بالنقد كذلك إلى المذهب الواقعي، وقبل أن نعرض انتقادات "باشلار" لهذا المذهب سنحاول أن نفهم طبيعة هذا المذهب في خطواته العريقة.

لقد ظهر المذهب التجريبي قديما عند الأبيقوريين ولكنه كنظرية مكتملة أولا عند "جون لوك" ثم عند خلفائه من الفلاسفة الانجليز [2].

فقد كان لوك خير ممثل لهذه النزعة الحسية وذهب إلى أن جميع معارفنا مستمدة من التجربة الحسية، فالإحساس هو المصدر الوحيد، تأتينا بها الحواس، حيث يرى "جون لوك" بأنه"لكي نحصل على معرفة صادقة يجب أن نسوق الفكر إلى الطبيعة الثابتة للأشياء وعلاقاتها، لا أن نأتي بالأشياء إلى فكرنا"[3].

من هنا يتبين لنا أن "جون لوك" ميز بين نوعين من التجربة، تجربة ظاهرة ترجع إلى المحسوسات الخارجية وتجربة باطنية تقع على أحوال النفس، فالحواس تنقل إليها كيفيات الأشياء الخارجية والتي بعضها كيفيات أولى (caractéristiques premiéres) كالمقاومة والحركة وهي كيفيات موجودة

[1] غاستون باشلار: فلسفة الرفض، مصدر سابق، ص 9-10.

[2] محمد ثابت الفندي: مع الفيلسوف، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، د ط ، 1998، ص 162.

[3] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط 5، 1986، ص 144.

فعلا في الأشياء وبعضها الآخر كيفيات ثانوية (caractéréstique secondaires) كالألوان والطعوم والروائح...وهي غير موجودة في الأشياء، أما التجربة الباطنية فتمدنا بأفكار بسيطة عن قوتنا الباطنية مثل الانتباه والذاكرة.

من هنا يتبين لنا أن التجربة هي الوسيلة الأولى التي تطلع بها حول حقيقة العالم الخارجي.

لم يتوقف "باشلار" في نقد أحد ممثلي الإتجاه التجريبي(جون لوك) فقط بل انتقل إلى " دافيد هيوم" فنجد أن رأي دافيد هيوم هو نفسه الذي جاء به لوك، إلا أنه نفى العقل إطلاقا في حدوث أي معرفة أو اعتبار حقيقة العالم الخارجي.

نجد " دافيد هيوم" يرجع المعرفة كلها إلى الإحساس والمعرفة عنده مجموعة من الإدراكات والذهن لا يمكنه النفاذ إلى حقيقة الأشياء دون أن تكون الحواس قد دلته على ذلك، وفي هذا يقول: " إن كل مواد التفكير مستمدة من الحواس الخارجية أو الباطنية، او ما يخضع للذهن أو الإرادة إنما هو خلطها وتركيبها وحسب أو ماعبر عنه بلغة فلسفية: جميع أفكارنا أو إدراكاتنا الأضعف، هي نسخ عن انطباعاتنا أو إدراكاتنا الأكثر حياة [1].

فتكوين المعارف عند " هيوم" ينتج بعلاقاتنا مع الطبيعة، وماتتركه فينا من انطباعات، والعلاقات التي نقيمها بين الأشياء، تنشأ بفعل قوانين تداعي المعاني، أي قوانين التشابه والاقتران في المكان والزمان، من هنا يقوم الفكر بالدور الإيجابي في علاقة الربط بين الأفكار، ولا يمكننا أن نعرف باستنتاج سابق عن التجربة، وقانون العلية (causalité)، يرجع على مبدأ العادة (L'habitude)، فإذا تكرر وقوع مادتين متتاليتين فإننا نقارنهما ببعض ونجعل السابق عليه واللاحق معلول، فإذا حدث

[1] دفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2008، ص 40.

السابق توقعنا حدوث اللاحق، ومن ثم يصر الناس على وجود رابطة ضرورية بين العلة والمعلول، حيث لا وجود لها في الواقع الحسي.

وهكذا يمضي " هيوم" في إنكاره للقوانين التي قال العقليون بفطرتها، ويرفض كل معرفة سابقة عن التجربة[1].

من هذا يتبين لنا أن الفلسفة الحسية بصفة عامة سواء كان عند جون لوك أو دافيد هيوم تنتهي إلى إلغاء دور العقل ولا يمكن للعلم الطبيعي أن يتكون خارج إطار العادة لأنه لا وجود لقوانين محددة وثابتة.

فمن خلال هذا النقد الموجه للإتجاه العقلاني والإتجاه التجريبي أراد "باشلار" أن يميز فلسفته العقلانية التطبيقية عن باقي الفلسفات الكلاسيكية فهي تمثل موقف فلسفي جديد يتميز بكونه لا يرى قيمة للفكر إلا في تطبيقها في تجارب، وهذا بخلاف العقلانيات التقليدية التي كانت تعود دائما إلى نفس المبادئ [2].

هذا يؤدي بنا إلى القول بأن العقلانية التطبيقية لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تكون لا زمانية ولا تاريخية.

يضع " باشلار" العقلانية التطبيقية في موقع محوري تتقاطع فيه فلسفات المعرفة، ويجعلها الأصل الشامل الذي تبحث عنه فلسفة العلم في تقويم المشروع العلمي في جميع مراحله التاريخية ويوضح " باشلار" هذا الموقع المحوري بالمخطط الآتي:

[1] محمد علي أبو ريان: الفلسفة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د ط، 2002، ص 237.

[2] محمد وقيدي: ماهي الابستمولوجيا؟، مرجع سابق، ص 385.

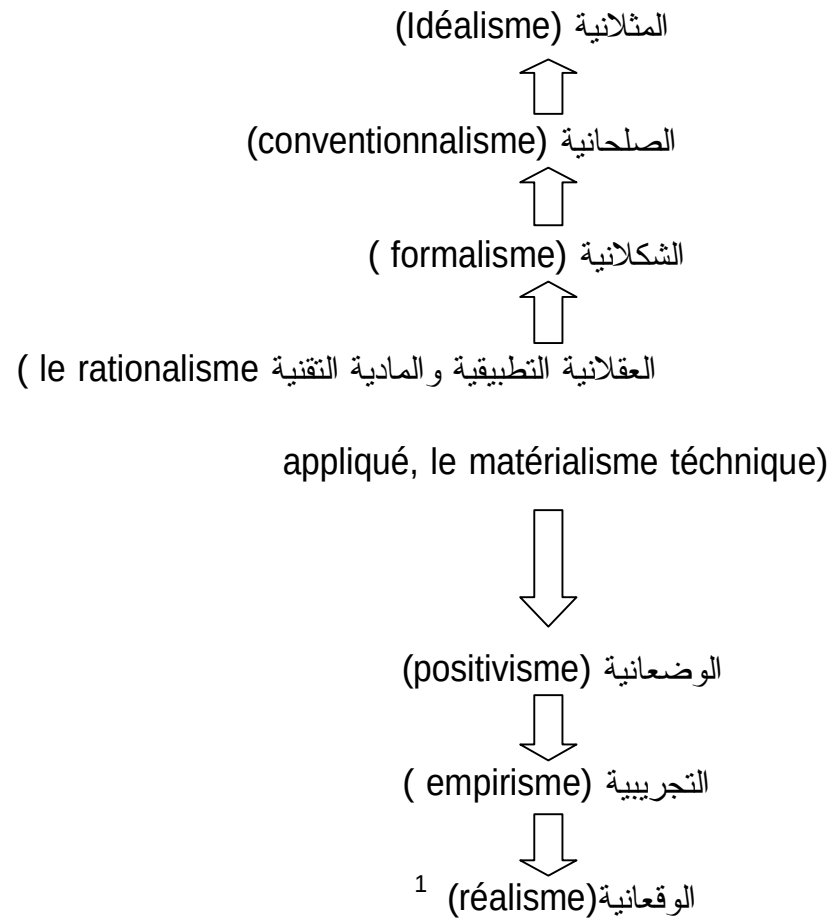

[1]

يوضح باشلار في هذا المخطط أن الشكلانية "صورية المنطق والرياضيات" المشتقة من العقلانية التطبيقية عاجزة عن إعطاء كامل العقل القياسي، صعودا نحو النزعة الإصطلاحية " الصلحانية بلغة المترجم" التي تنظر إلى أن العلم النظري، ماهو إلا مجموعة الإصطلاحات تواضع عليها العلماء، متهما " باشلار" هذه النزعة بالتعسفية، تعسفية إفراغ العلم من مضمونه الفكري سوى ما اصطلح عليه العلماء والتي تتحول صعودا أو بشكل طبيعي إلى نوع من المثالية.

فمن أقصى المخطط هناك زوج يضم الثنائي " الواقعية- المثالية"، إذ ينعدم الحوار في هذا الثنائي لأنهما يتميزان بالوثوقية أحادية الجانب وليس لهذا الثنائي أي وجود في الفكر العلمي المعاصر، ثم

[1] غاستون باشلار: العقلانية التطبيقية، مصدر سابق، ص 33.

يأتي دور الثنائي " الإصطلاحية – التجريبية"، الذي من الممكن أن يقيم توافقات بين هذين القطبين و إيجاد حوار بينهما [1]، برغم تميز هذا الحوار بنزعة شكية مزدوجة، ثم الثنائي " الصورية – الوضعية" الذي يشكل حوارهما توضيحا لكثير من المشكلات الابستمولوجية المتعلقة بالعلوم الطبيعية، لكنها لا تصل إلى فعالية العقلانية التطبيقية [2].

وفي الأخير يمكننا القول بهذا تشكل العقلانية التطبيقية نقطة إلتقاء بين الكثير من الفلسفات المتناقضة لأنها تمتد من العقلانية إلى المثالية الساذجة، ومن جهة أخرى تمتد من المادية التقنية إلى الواقعية الساذجة، أما العلاقة التي تقيمها العقلانية التطبيقية بين هذه الفلسفات لتحافظ على موقعها، وحيويتها فهي علاقة جدلية لأن المثالية عاجزة عن بلوغ عقلانية ملائمة إذ لم تكن قابلة للتفاعل والتشكل مع ما تأتي به التجربة ، ولا يمكن للواقعية أن تتجاوز حدود الحس المشترك، إذا لم تكن هناك عقلانية توجهها، فلا يستطيع الفكر العلمي أن يعيش في هذه الأحادية هناك عقلانية توجهها ، فلا يستطيع الفكر العلمي أن يعيش في هذه الأحادية (فهو يحتاج إلى تضافر الاتجاهين في إطار جدلي)، تحت اسم العقلانية التطبيقية.

[1] كريم موسى: فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، مرجع سابق، ص 175.

[2] غاستون باشلار: العقلانية التطبيقية، مصدر سابق، ص 38.

المبحث الثاني: العقلانية التطبيقية في مقابل العقلانية النقدية

إن باشلار حينما ينعت عقلانيته بأنها تطبيقية، إنما يترجم حقيقتها كفلسفة العلم، تترجم نتائجه وقيمه وتعمل على إبرازها وهي بذلك تتحرك وفق حركة العلم، إنها عقلانية متميزة على العقلانيات التقليدية المطلقة، المتعلقة على أنساقها،إنها عقلانية تبرز وجودها وتميزها بتطبيقها " فالتطبيق في منظور العقلانية العلمية ليس نكسة ولا تسوية، وإنما تنشد التطبيق، وإذ أسيء تطبيقها تتطور نفسها، وهي لا تنكر أصولها في سبيل ذلك، بل تجادلها، وفي نهاية المطاف، ربما تكون فلسفة العلم الطبيعي هي الفلسفة الوحيدة التي تطبق ، إنها الفلسفة المتفتحة الوحيدة" [1].

هذا يقودنا إلى القول بأن التطبيق للعقلانية العلمية ليس فشلا، وإنما تسعى إلى التطبيق، ونجد فلسفة العلم الفيزيائي هي الفلسفة الوحيدة التي تطبق، والعقلانية في سعيها إلى التطبيق كذلك لا يقلل من شأنها، كما لا يحط من كمالها، كما تفتقد بعض الفلسفات الشمولية، بل إن ذلك يعزز من قيمتها الموضوعية، وهذا ما يؤكده " باشلار" في قوله " فإنها العقلانية تفوز بقيمتها الموضوعية عن طريق تطبيقاتها، لم يعد المقصود إذا للحكم عن الفكر العلمي، الاستناد إلى عقلانية شكلية، مجرد شمولية، بل المطلوب هو بلوغ عقلانية محسوسة [2].

من هنا يتضح لنا ان حرصها على التطبيق يغذي فيها دائما روح المراجعة وإعادة النظر كعقلانية معبرة عن العلم المعاصر، لكن دون أن يعني ذلك تخليها عن مبادئها.

---

[1] غاستون باشلار: فلسفة الرفض، مصدر سابق، ص 10.

[2] غاستون باشلار: العقلانية التطبيقية، مصدر سابق، ص 32.

إن ما يرمي العقلانيون النقديون وعلى رأسهم " كارل بوبر"، الوصول إليه هو العقلانية بشقيها التجريبي والعقلي، قد وقعا في الخطأ ذاته وهو الاعتقاد بأن الحقيقة بينة، وأن المعرفة اليقينية سهلة المنال، وهذه هي التفائلية الابستمولوجية، غير النقدية التي ميزت عصر النهضة كما ينعتها بوبر[1].

وصار الاهتمام منصبا على تحديد المصدر النهائي للمعرفة النهائية القاطعة، أهو بالحس أم العقل؟ وهذا هو مكمن الخطأ، كما يعتقد بوبر، إذ لا يهمنا مصدر المعرفة أهو العقل أم الحس، بقدر ما تهمنا المعرفة ذاتها محتواها ومدى صدقها [2] .

هذا يقودنا إلى القول أنه من زاوية يقينية المعرفة مكتسبة من عدمها، رأت العقلانية النقدية أن المسألة ليست مقتصرة على اليقين الذي يطمح إليه صعب المنال.

العقلانية النقدية لا ترفض فكرة وجود حقائق مطلقة للأشياء، وإلا خرجت من ثوبها العقلاني على صوب النزعة اللاعقلانية، ولكن كل ما في الأمر أنها ترى الفاعلية المعرفية لا يحركها تفائل العثور على اليقين المطلق لحقائق الأشياء، بل الذي يحركها النقد المستمر لمعرفتنا عن هذه الحقائق المطلقة [3] .

فلم تعد فلسفة العلم مع العقلانية النقدية لبوبر تبحث حصرا عن منطق تحلل فيه لغة العلم، مقيدة نفسها بهذا الإطار الصوري كما أرادت التجريبية المنطقية للفلسفة أن تكون، بل أراد بوبر لفلسفة العلم أن تستلهم روح البحث العلمي إلى فروض حل هذه المشكلة و على تعويض هذه الفروض للاختبارات

[1] كارل بوبر: أسطورة الإطار، ترجمة يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، د ط، رقم 292، افريل 2001، ص 234.

[2] يمنى طريف الخولي: فلسفة كارل بوبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1989، ص 108.

[3] كريم موسى: فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، مرجع سابق، ص 165.

النقدية والتجريبية من أجل استبعاد ما هو خاطئ، والانتهاء بمشكلة جديدة، ومن ثم الكشف عن هذا الإيقاع النقدي.

تمحورت فلسفة كارل بوبر في ثلاثة وجوه، الوجه البيولوجي والسوسيولوجي والابستمولوجي، ولماكان مبحثنا هذا مختصا بالعقلانية في فلسفة العلم بات من الطبيعي أن يكون تركيز البحث على الوجه الثالث لعقلانية بوبر " الوجه الابستمولوجي"، فيضع بوبر النقد هو الأساس في بناء الابستمولوجيا، مقدما صورة جديدة عن تلك الابستمولوجيا الكلاسيكية التي عانت في البحث عن مصدر المعرفة و أصولها مستبدلا إياه بواحدة لا يهمها هذا البحث عن هذه الأصول بل البحث في أصول نموها وديمومتها، الى المنهج النقدي الذي يبحث دائما عن أصول الأخطاء والجهل المعرفي واستبعاده [1].

من هنا يتضح لنا أن الوجه الابستمولوجي الذي يمثل في معظم نواحيه العلم ومواضيعه ومن ضمنها تطوره.

وبما أن بوبر يميز بين نوعين من المعرفة " معرفة بالمغزى الذاتي" تشمل على كل عالم الخبرة الذاتية، و " معرفة بالمغزى الموضوعي" تتكون من الأفكار العلمية وهي التي تشكل موضوعا للابستمولوجيا [2].

هذا يؤدي بنا إلى القول أنه من الملائم ان نتعرف إلى نظرية العوالم الثلاثة لبوبر، ومقارنة عالم الثالث"عالم المعرفة الموضوعية" مع الواقع العلمي عند باشلار الذي اصطنعه حوار العقل مع التجربة، لتكون مدخلا ابستمولوجيا للفلسفة العقلانية.

---

[1] كريم موسى: فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، مرجع سابق، ص 171.

[2] المرجع نفسه، ص 172.

إن الهدف من هذا المبحث هو بيان أن كلا من العقلانية النقدية لبوبر والعقلانية التطبيقية لباشلار سعت إلى تأسيس عالم جديد مصطنع انبثق من جراء تساهمية العقل والعالم التجريبي المادي ليمثل العالم الثالث بمصطلحات بوبر الذي اصطنعته عقلانية نقدية، وكذلك الواقع العلمي بمصطلحات باشلار الذي اصطنعته عقلانيته التطبيقية [1].

مع وجود الفارق في شمولية المفهومين إلا انهما يستندان إلى نفس الرؤية الفلسفية كما سنرى من جراء الحديث عنهما بشيء من التفصيل، ولتكن البداية مع العالم الثالث لبوبر:

يقيم كارل بوبر نظريته في العوالم الثلاثة استنادا إلى تقسيم الواقع إلى ثلاثة عوالم، إذ يقسمها كالآتي :

العالم الأول: هو العالم المادي الذي نقسمه إلى أجسام حية وأجسام غير حية، والذي يحمل أيضا بوجه خاص حالات وأحداث مثل الحركات والقوى.

العالم الثاني: عالم الخبرات الواعية واللاواعية.

العالم الثالث: يقصد به عالم المنتجات الموضوعية للذهن البشري [2].

نقصد هنا عالم المنتجات، الجزء البشري من العالم الثالث الذي يضم أشياء مثل الكتب و أعمال النحت والطائر...داخل العالم الثالث كل ما ينتج بتخطيط أو يتعمد عن النشاط الذهني البشري [3].

---

[1] كريم موسى: فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، مرجع سابق، ص 183.

[2] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[3] كارل بوبر: بحثا عن عالم أفضل، ترجمة أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، د ط، 1999، ص 19-20.

جاء ترتيب العوالم الثلاثة منسجما مع عمر هذه العوالم، فالجزء غير الحي من العالم الأول اقدم من جزئه الحي، يليه العالم الثاني عالم الخبرة الواعية واللاواعية للإنسان، ثم يأتي العالم الثالث عالم المنتجات [1]، فلا معرفة بدون نقد عقلي، وهذه المعرفة هي أساس العالم الثالث وأساس الثقافة البشرية.

يجب أن لا يفوتنا القول ان بوبر في نظريته هذه لم يضع فصلا حادا بين عوالمه، بل هناك علاقة تداخل بينهما بشكل مباشر أو غير مباشر" ورغم أن هذه العوالم الثلاثة تتمتع بإستقلال ذاتي عن بعضهما البعض إلا أنها عوالم غير منغلقة على ذاتها، وهناك تفاعل وانفتاح فيما بينها" [2].

من هذه المقولة يمكن القول أن هناك علاقة مباشرة بين العالم الثاني والعالم الثالث، وهناك علاقة مباشرة بين العالم الأول والعالم الثاني، في حين لا توجد علاقة مباشرة بين العالم الأول والعالم الثالث، لكنهما يتصلان عبر العالم الثاني.

والآن يأتي الدور للحديث عن الواقع العلمي لباشلار، بداية لم يُقِمْ باشلار واقعه العلمي على أساس سلسلة تطورية طويلة بدأت من الوجود المادي وانتهت بالمعرفة العلمية كما فعل بوبر بنظرية العوالم الثلاثة، التي افترضت أخيرا انبثاق العالم الثالث المناظر للواقع العلمي عند باشلار، إذ جاء افتراض هذا العالم الثالث لضرورة فرضتها العقلانية النقدية التي يتمسك بها بوبر، أما باشلار فلم ينقلنا إلى سلسلة تطورية على غرار سلسلة بوبر، ليصل بنا إلى الواقع العلمي بل جعل الواقع يتشكل وفق علاقة جدلية مسبقة مع العقل العلمي، وان هذا الواقع العلمي تشكل نتيجة حوار طويل استغرق عددا كبيرا من القرون بين العالم الخارجي والفكر وفي هذا الصدد يقول باشلار" ان نثابر على الكلام على (واقع)

[1] كارل بوبر: بحثا عن عالم أفضل، مرجع سابق، ص 21.

[2] المصدر نفسه، ص 54.

بعيد، كثيف، متكتل، لا معقول؟ ان ذلك معناه ان ننسى أن الواقع العلمي ذو علاقة جدلية مسبقة ب (العقل) العلمي"[1].

هذا يؤدي بنا إلى القول انه ليس بمقدورنا الحديث عن واقع بعيد ولا معقول ونتجاوز هذا الحوار الطويل بين الواقع والعقل العلمي.

يرى باشلار ان هناك مراحل مر بها العقل العلمي، والانتقال من مرحلة الى أخرى يتم من خلال القطيعة كما سبق الذكر، وانفصال في بنية العقل العلمي وطريقة فهمه للواقع.

على هذا الأساس اصبح من السهل إجراء مقاربة بين العالم الثالث البوبري والواقع العلمي الباشلاري وهي كاللآتي:

أولا: كلاهما من منجزات العقل البشري الذي يريد أن ينحت العالم على شاكلته.

ثانيا: الشكل الفيزيقي لهذا الواقع أو العالم بني من مادة العالم الخارجي المادي بمصطلحات بوبر من مادة العالم الأول.

ثالثا: كل من الواقع العلمي لباشلار والعالم الثالث لبوبر انبثقا نتيجة التصويب والنقد المستمر [2].

على العموم فإن هذه المقارنة تقضي إلى أن العقلانية المنفتحة بشقيها النقدي والتطبيقي فتحت آفاقا جديدة لفلسفة العلم وجعلتها في تلاحم مع موضوع البحث العلمي وتجاوزت أطر الصورية المنطقية والنزعة الاستقرائية، وجعلت من الحقيقة العلمية في حالة صيرورة دائمة ومصدرها يحدده التكامل بين العقل والتجربة والحوار الدائم بينهما.

---

[1] غاستون باشلار: الفكر العلمي الجديد، مصدر سابق، ص 11.

[2] كريم موسى: فلسفة العلم بين العقلانية واللاعقلانية، مرجع سابق، ص 196.

بالرغم من هذه المقاربة تبقى الخصوصية لكل نسق وتفرض اختلافات فيما بينها، ولعل النزعة المنهجية التي اطرت فلسفة بوبر وخلوها في فلسفة باشلار " ابرز هذه الاختلافات، فقد تمسك بوبر بأن المنهج النقدي هو المنهج الوحيد الذي يفسر نشاط البحث العلمي...في حين نجد ما يخالف هذا التوجه في عقلانية باشلار الذي عبر عن رفضه بتقيد البحث العلمي بمنهج واحد" [1].

وفي الأخير يمكننا القول انه رغم الاختلاف بين العقلانية التطبيقية والعقلانية النقدية، إلا أن كلاهما لهما نفس الاقتراب في النظر إلى المعرفة العلمية بوصفها معرفة اتخذت موضوعيتها وخصوصيتها من النقد.

[1] كريم موسى: فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، مرجع سابق، ص 182.

المبحث الثالث: امتدادات العقلانية الباشلارية في الابستمولوجيا المعاصرة (العقلانية البلانشية نموذجا).

إن العقلانية الباشلارية من حيث هي فلسفة للعلم، لها مشروعها الابستمولوجي يلفها كثيرا من الغموض وتطرح عديد الأسئلة، مما يجعل فهمها حق الفهم رهين الفلسفات التي تلتها، وهذا الذي يؤكده الأستاذ " سالم يفوت" في كتابه (العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة)، حيث يقول: " إن باشلار لا يفهم حق الفهم إلا بما بعده" [1].

فالعقلانيات االتي تلت العقلانية الباشلارية لا سيما الفرنسية منها، تكشف عن معالم أساسية في هذه العقلانية، خاصة وأن هذه العقلانيات لا تكاد تخلو من أثر باشلاري سواء منها الفلسفات التي تأخذ الطابع الابستمولوجي الخالص، فنحن بدورنا سنركز حديثنا حول نموذجا نراه أساسيا في هذا التوجه ألا وهو العقلانية البلانشية، وهذا بما تتميز به من تأثر بالباشلارية.

لا بد من الإشارة في الأول إلى أن روبير بلانشي* يتبنى مشروعا عقلانيا، يتقاطع في نقاط كثيرة مع الفلسفات العقلانية المعاصرة، لا سيما منها العقلانية الباشلارية، فكلاهما يبدي رفضا قاطعا تجاه القول بعقل كوني ثابت، كما كانت تتبناه العقلانيات الكلاسيكية، كما أن كلاهما يتبنى خطابا ابستمولوجيا جديدا فيما يتعلق بالعلم، مفاده أن أي حديث حول العلم يجب أن يكون من داخله لا من خارجه من أجل تبرير مواقف فلسفية، بالإضافة إلى تبنيهما القول بأثر المعارف العلمية على بنية العقل أو الفكر البشري.

---

[1] سالم يفوت: العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، مرجع سابق، ص 09.

*روبير بلانشي (1889- 1975)، فيلسوف ومنطقي فرنسين من اهم أعماله، كتاب : المنطق وتاريخه، من أرسطو إلى راسل (1971)، أنظر جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1987، ص 185.

أولا- الثورة العلمية رافدا أول للمشروع الابستمولوجي لروبير بلانشي:

لقد شكلت الثورة العلمية المعاصرة، الحدث العلمي الأهم في تاريخ العلم المعاصر، إن لم نقل في تاريخ العلم على الإطلاق، فقد كان لهذه الثورة العلمية، وما أحدثته من انقلاب على نظريات العلم الكلاسيكي الأثر العميق في قناعات ومسلمات المهتمين بالشأن العلمي، مما اقتضى الأمر منهم آنذاك، إن الثورة العلمية التي حدثت في الرياضيات نتيجة قيام الهندسة اللاأقليدية بأنساقها الجديدة وما نتج عنها من نتائج وقيم مثيرة مخالفة تماما لمبادئ وقيم الهندسة الأوقليدية، هزت بنى وأركان تصور الفكر العلمي.

" إن الثورة العلمية بما أفرزته ومفاهيم علمية جديدة، كان لها الأثر نفسه في ذهن روبير تماما كان الأمر مع باشلار من ضرورة إعادة النظر والمراجعة في مبادئ وقيم الفكر العلمي الكلاسيكي، ومن ضرورة التأسيس الإبستمولوجي، وتعكس نتائج وقيم العلم المعاصر التي افرزتها نظريات الثورة العلمية" [1].

فهذا المناخ الثوري الذي طبع العلم المعاصر في القرن العشرين، مكن روبير بلانشي من أن يتمثل معالم مشروعه الابستمولوجي الرامي إلى بناء عقلانية معاصرة.

ثانيا: نقد العقلانيات الكلاسيكية رافدا ثان للمشروع الابستمولوجي لوبير بلانشي:

إن معالم المشروع الابستمولوجي البلانشي تتضح أكثر من خلال كتابين له (العلم الفيزيائي والواقع) وكتاب (العلم الحالي والعقلانية)، إن من أهم الأفكار الرئيسة المشتركة بين العقلانيات

[1] بلانشي: الابستمولوجيا، ترجمة حسين عبد الحميد، الكويت، د ط، 1984، ص 58.

الكلاسيكية والتي توجه إليها بلانشي بالنقد مستندا على مستجدات العلم المعاصر، هي القول بعقل كوني ثابت، مطلق، حائز بصفة قبلية على كل المقولات الضرورية لمعرفة العالم الطبيعي والخارجي بشكل عام، وهو بذلك في منأى عن حركة التاريخ أو خارج نطاقه.

يتركز النقد البلانشي للعقلانيات الكلاسيكية القائلة بعقل ثابت مطلق من ناحيتين:

أ- النقد من الناحية الداخلية:

تتمثل هذه الناحية من خلال نقده لفكرة العقل الثابت، فهي التي يعتمد فيها على العلوم التي تستخدم العقل كأداة لبناء المعرفة العلمية، فالمنطق الصوري، وعلم الرياضيات، وعلم الفيزياء النظرية، من حيث هي علوما ناتجة عن العقل.

إن تاريخ العلوم يؤكد أن العلوم في مسارها قد حققت تطورا ملفتا " حيث مر العلم منذ موت (كانط) عام 1804، بتطور كان بطيئا في البداية ثم ازدادت سرعته شيئا فشيئا، وفي هذا التطور تجرد العلم من كل الحقائق المطلقة والأفكار المسبقة" [1] .

ومن الشواهد العلمية التي تؤكد هذه الحقيقة حول تطور العلوم، نجد علم الرياضيات، علم مسه هذا التطور بشكل جوهري، فقد تطورت سواء من حيث المبادئ أو المنهج أو الحقيقة، وتعدد الانساق دليل على ذلك، كما أن تحول الرياضيات من رياضيات تطبيقية إلى رياضيات بحتة شاهد آخر على ذلك.

كما أن الفيزياء قد عرفت تحولات مهمة، حيث مرت بـــ 3 مراحل: المرحلة الأولى وتسمى بالمرحلة الإحيائية، كما يطلق عليها بمرحلة الأنثروبورمورفائية(anthropormorphisme)*، ثم تلتها المرحلة

[1] هانز رايشنباخ: نشاة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1977، ص 116.

* الأنثروبومورفائية: عملية غزو الطبيعة البشرية لله، أندريه لالاند: موسوعة الفلاسفة، مرجع سابق، ص 75.

الميكانيكا، وهي مرحلة يحكمها مبدأ السببية، وأهم نظرية مثلت هذه المرحلة هي نظرية الجاذبية على يد كل من (نيوتن و غاليلي)، أما المرحلة الثالثة فتمثلت فيما يطلق عليه بالمرحلة الرياضية وهي المرحلة التي تنسجم والعقلانية المعاصرة، حيث يقوم على الدور الكبير للرياضيات والاحتمالات، كما يرى بلانشي أن الموجودات الرياضية لها وجود مستقل عن الفكر وتتصف بالمطلقية واليقين، وهذا الموقف وصفه "بلانشي" بالاتجاه الواقعي للماهيات الرياضية، والتي اعتبرها " بلانشي " عالم الأفكار والماهيات[1].

واضح من خلال هذه الشواهد العلمية التي اعتمدها " بلانشي " في تأكيد موقفه على نسبية العقل، انه يعكس مدى تاثره بالابستمولوجيا الباشلارية، التي اعتمدت هي الأخرى على معطيات تاريخ العلوم، وقيم نظريات الثورة العلمية المعاصرة في تفويض المفهوم الفلسفي الكلاسيكي القائل بثبات وكلية العقل البشري.

ب- النقد من الناحية الخارجية:

هو النقد الذي يعتمد فيه كدليل على العلوم التي تجعل من الإنسان عموما موضوعا لها، كما تبحث في فكره وفعاليته ونشاطه بشكل خاص، فقد أثبتت هذه الأبحاث العلمية عبر مسيرتها وتطورها، أن الإنسان في تطور دائم، بدنيا ونفسيا واجتماعيا، الأمر الذي ينعكس على عقله الذي سيتأثر بالضرورة بمثل هذه التبدلات والتطورات، ما يجعله يتطور مثل باقي الأعضاء الأخرى.

[1] بلانشي: الابستمولوجيا، مرجع سابق، ص 123.

وقد استند " بلانشي" في تأكيد طرحه هذا على الأبحاث والدراسات التي قدمتها البيولوجيا على يد كل من "كلود برنارد" *(claud bernard) "1813-1878"، وما أثبته علم النفس التكويني على يد " جان بياجي" (jean piaget)* ، و أيضا على أبحاث علم الاجتماع على يد " دوركايم".

فما توصلت إليه هذه العلوم يؤكد بما ليس فيه محالة للريبة، من أن العقل على خلاف ما تقول به العقلانيات الكلاسيكية، لانه لا يخرج عن كونه ظاهر من الظواهر التي لا تكف عن التبدل والتغير.

وتؤكد الدراسات الأنثروبولوجية، وخاصة منها دراسات " كلود دليفي شتراوس" في كتابه " الفكر المتوحش"، ان العقل قد تنوع بحسب الحضارات المتعاقبة، منتقدا موقف الحضارة الغربية المبني على العنصرية، حيث قسمت العقل البشري إلى نوعين (عقل متحضر) تمثله الحضارة الغربية و (عقل بدائي متوحش) تمثله كل الحضارات الأخرى والذي يعكس البداية والعنف والتخلف.

من المؤكد ان الفكر المتوحش لا يتقيد بالمبادئ المنطقية التي حددها " أرسطو"، مبدأ الهوية، وعدم التناقض، والثالث المرفوع، لكن ذلك لا يبرر رفع صفة التفكير العقلي المنطقي عنه " لأن العبرة ليست باحترام المبادئ، بل التفكير ذاته من حيث هو خطوات و آليات وقدرة على الانتقال من تصور إلى آخر"[1]، وليس أدل ذلك مما عليه التفكير في الفيزياء المعاصرة (الميكروفيزياء)، حيث أن تصنيف هذه المبادئ مختلف عما كان مألوفا في المنطق الكلاسيكي (لها معنى مطلق) ثابت ، يدعم بلانشي موقفه الرامي إلى دحض فكرة العقل الكلي بحجة علمية أخرى يستمدها من علم النفس التكويني لـــ " جان

* كلود برنارد: عالم وفيلسوف فرنسي، من أشهر أعماله (مدخل في دراسة الطب التجريبي)، أنظر جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة والنشر، بيروت، ط1، 1983، ص 167-168.

* جون بياجي: (1980-1996)، عالم نفسي وتربية سويسيري، المرجع نفسه، ص 112.

[1] سالم يفوت: العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، مرجع سابق، ص 70.

بياجي": " حيث عمل هذا الأخير على دراسة المعرفة من ناحية صيرورتها أي باعتبارها ضرورة" [1]، نفهم من هذه المقولة أن مسعى بياجي كان هو العمل على التخلص من فكرة الثبات.

وأخيرا يمكن القول أن البلانشية تتقاسم مع العقلانيات المعاصرة الأخرى لا سيما الباشلارية، تبني عقلا إيجابيا، يتأثر بحركة تطور العلم، كما أن العقل يواجه الوقائع الجديدة التي تتفاعل دائما معها، في حركة جدلية مستمرة ومفتوحة.

خلاصة:

كحوصلة لما جاء في هذا الفصل يمكن صياغتها فيما يلي:

* العقلانية الباشلارية تسعى لان تكون الفلسفة المطابقة للعلم، هذا ما يمكن لمسه كمفهوم يترجم من خلال خصائصه، المرونة، الانفتاح، التطبيق، والتخصص التي هي خصائص علمية بلا منازع.

* العقلانية الباشلارية تمكنت من تحقيق التجاوز للصراع التقليدي بين الفلسفات الكلاسيكية (العقلانية والتجريبية)، حول علاقة العقل بالتجربة فيما يتعلق بمسألة المعرفة، حيث تؤكد هذه العقلانية على رفع أي تناقض بينهما، بل إنهما يتفاعلان ويتكاملان في إطار المعرفة العلمية، في حركة جدلية قوامها التبادل، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد العقلانية النقدية والعقلانية التطبيقية سعت كل واحدة منهما إلى قلب أسس العقلانية التجريبية والتحرر من قيود العقلانية المحافظة على أصول السعي للوصول

[1] روبير بلانشي: نظرية العلم (الابستمولوجيا)، ترجمة محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2004، ص، 45-46.

إلى الحقيقة، تلك الأصول التي تجعل أرسخ أساس لها ان يكون تقصي الصواب أو الصدق هو المحرك الفاعل للبحث عن الحقيقة.

* إسهام العقلانية العلمية الباشلارية في تغذية و إلهام الكثير من المشاريع الفلسفية العقلانية التي تلتها مثل العقلانية البلانشية.

* إن المشروع الابستمولوجي لـــ " روبير بلانشي" بملامحه ومعالمه التي حددها له هذا الأخير كمشروع، يسعى إلى إبراز وترجمة القيم والمبادئ التي طرحتها النظريات العلمية المعاصرة.

خـــاتمة

خـــــــــــــــــــــاتمة:

إن ما أردنا الذهاب إليه من خلال هذا العمل، هو تسليط الضوء على المفهوم الجديد الذي أعطاه باشلار لمصطلح (بينة المعرفة)، داخل فلسفة مفتوحة مشتدة إلى التطور الكبير الذي شهدته العلوم، فلقد بنى باشلار منهجه الجدلي على أسس متكاملة ، فالأساس الفلسفي لا يمكن أن يقوم أو يثبت إلا باتصاله مع الأساس العلمي، وهو ما يفترض أسبقية العلم تكوينا عن الفلسفة، لأن الفلسفة تابعة لكل تغيير يمكن أن يطرأ على العلم، وهنا يجب التنبيه إلى كل مفهوم تجاوزه العلم، فتتشكل بذلك المفاهيم الابستمولوجية على أرضية عميقة من البناء المفهومي والعلمي، ومن هذه المنطلقات راح باشلار يؤسس لفلسفة جديدة تزيل الهوة الفاصلة بين المتناقضات، وتدعو إلى التجاوز المستمر عن طريق الجدل، سعيا منه إلى بلوغ ما سماه بالفلسفة المفتوحة، تخضع كل مفاهيمها للجدلية، أين يتم بموجبها الدعوة إلى تطبيق كل ما هو عقلاني وتنظير كل ما هو تجريبي، لينتج خطابا فلسفيا، وفي الآن ذاته منتوجا لعقل علمي، فيتابدلان النصح دائما ويظلان في نقاش وصراع أبدي مع ما ينتجه العلم، لأن كل من المذهب العقلاني والمذهب التجريبي، يتمم كل منهما الآخر.

ومن أبرز النتائج التي يمكن استخلاصها من خلال بحثنا هذا ما يلي:

- تجاوز باشلار الصراع التقليدي بين الفلسفات الكلاسيكية(العقلانية والتجريبية) وحدد معرفة علمية من خلال التكامل بينهما، أي التكامل بين العقل والتجربة.
- الإهتمام بالجانب النفسي للمعرفة العلمية من خلال توظيف منهج التحليل النفسي فيها ، بغية تشريح المعرفة أكثر، والغوص إلى عمق باطنها للوقوف على العوائق التي تقف حاجزا أمام تقدم المعرفة العلمية والعمل على إزالتها.

- إن التطور العلمي لا يتم الإتصال بنظرياته، بل الإنفصال بين ما كان صحيحا ومانعتقده اليوم كذلك، فلا وجود لنتائج مطلقة، لذا استعمل باشلار القطيعة الإبستمولوجية لأنه لا يمكن بإمكانه أن يتقبل التاريخ العلمي على أنه مجرد تكديس للمعلومات.
- إن العقلانية التطبيقية لباشلار تشكل معلما أساسيا لبداية فكر فلسفي جديد، طابعه الأساسي المرونة والانفتاح.
- تجاوز دوغماتية العقلانية الكلاسيكية القائمة على الفكر النسقي والانغلاقي، والقول بعقل كوني ثابت، وإلى عقلانية تترجم قيم العلم المعاصر وتصوغ ذاتها من خلال مستجداته، فهي بذلك عقلانية متفتحة، العقل فيها بنية متغيرة، يؤثر ويتأثر بتاريخ المعرفة العلمية في حركة جدلية لا تعرف التوقف.

كما نجد أن العقلانية الباشلارية قد كان لها حضورها في العقلانيات التي تلتها، مما يؤكد على أهميتها كعقلانية علمية معاصرة، قد كان لها الفضل الأسبق في إعادة هيكلة وترتيب وصيانة العقل الفلسفي الذي كان مع الأنساق الفلسفية التقليدية، هذا ما وجدناه في المشروع الابستمولوجي لـــ " روبير بلانشي"، الذي جاء كمشروع يسعى إلى إبراز وترجمة القيم والمبادئ التي طرحتها النظريات العلمية المعاصرة.

وكنتيجة نخلص إليها من بحثنا هذا حول (بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار)، وما إذا كانت العقلانية العلمية الباشلارية قد حققت فعل التجاوز للفلسفات التقليدية، وسدّت الفجوة القائمة بين الفلسفة والعلم، وحققت التطابق بينهما، أم أنها مجرد إعادة صياغة لهذه الفلسفات بشيء من التغيير ليس أكثر، فإنه يمكننا القول أن هذه العقلانية ذات طبيعة علمية، فهي قد جاءت مترجمة ومعبرة عن قيم ومبادئ الثورة العلمية قبل كل شيء، أي أنها نابعة من داخل العلم لا من خارجه.

نحن نطمح من خلال بحثنا هذا إلى فتح نوافذ لحوارات هادفة ومعمقة على الفكر العلمي المعاصر لنتسلح به آملين أن تتغير بنية العقل العر بي ، وإذا كنا قد ربطنا العلم الحديث بالعقلانية الغربية، فمتى نؤسس إلى عقلانية عربية ونحن في الألفية الثالثة؟.

قـــــــائمة المصادر والمراجع

أ- قـــــــــــــــائمة المصادر باللغة العربية:(حسب تاريخ صدورها)

1- **غاستون باشلار:** تكوين العقل العلمي، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، 1981.

2- **غاستون باشلار:** الفكر العلمي الجديد، ترجمة عادل العوا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1983.

3- **غاستون باشلار:** النار في التحليل النفسي، ترجمة نهاد خياطة، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1984.

4- **غاستون باشلار:** العقلانية التطبيقية، ترجمة بسام الهاشم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1984.

5- **غاستون باشلار:** فلسفة الرفض، ترجمة خليل أحمد خليل، دا الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، 1985.

6- **غاستون باشلار:** حدس اللحظة، ترجمة رضا عزوز وعبد العزيز زمزم، دار الشؤون الثقافية للنشر، طبعة خاصة، 1986.

7- **غاستون باشلار:** جدلية الزمن، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، 1992.

ب- قـــــــــــــائمة المصادر باللغة الفرنسية:

G-Bachlard : la philosophie de non, essai d'une philosophie du nouvelle esprit scientifique p.u.f, paris, 3eme édition,1938.

ج- قـــــــــائمة المراجع:(حسب الترتيب الهجائي)

1- **بوعزة ساهل:** أوراق باشلارية، دار القروين، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001.

2- **ديديه جيل:** باشلار والثقافة العلمية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1996.

3- **دفيد هيوم:** مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة موسى وهبة ، دار الفارابي، لبنان، الطبعة الأولى، 2008.

4- **روبير بلانشي:** نظرية العلم (الابستولوجيا)، ترجمة محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دون طبعة، 2004.

5- **روبير بلانشي:** الابستمولوجيا، ترجمة حسين عبد الحميد، الكويت، دون طبعة، 1984.

6- **سالم يفوت:** فلسفة العلم المعاصر ومفهومها للواقع، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1975.

7- **سالم يفوت**: العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1989.

8- **سيغموند فرويد:** الأنا والهو، ترجمة عثماني نجاتي، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة،1982.

9- **سيغموند فرويد:** تفسير الأحلام، تلخيص د. نظمى لوقا، كتاب الهلال، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال، رقم 137، أوت 1962.

10- **سيغموند فرويد:** الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمد علي، عبد السلام القفاش، مهرجان القراءة للجميع ، مكتبة الأسرة، دون طبعة، 2000.

11- **شعبان حسن:** برونشفيك وباشلار – بين الفلسفة والعلم- دراسة نقدية، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى،1993.

12- **علي حسن كركي:** الابستمولوجيا في ميدان المعرفة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010.

13- **غادة الإمام:** باشلار وجماليات الصورة، دار التنوير، لبنان، الطبعة الأولى، 2010.

14- **كريم موسى:** فلسفة العلم – من العقلانية إلى اللاعقلانية-، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002.

15- **كارل بوبر:** أسطورة الإطار، ترجمة يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 292، أفريل 2003.

16- **كارل بوبر:** بحثا عن عالم أفضل، ترجمة أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، دون طبعة، 1999.

17- **كوزان أندري، فرانسو غيري وآخرون:** مدخل الفلسفة المعاصرة، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة، لبنان، الطبعة الأولى، 1988.

18- **محمد ثابت القندي:** مع الفيلسوف، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1989.

19- **محمد علي أبو ريان:** الفلسفة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دون طبعة، 2002.

20- **محمد الوقيدي:** العلوم الإنسانية والإيديولوجيا، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1983.

21- **محمد الوقيدي:** ماهي الإبستمولوجيا؟، مكتبة المعارف للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1987.

22- **محمد الوقيدي:** فلسفة المعرفة عند باشلار، دار الطليعة للطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1980.

23- **محمد عابد الجابري**: مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 2002م،

24- **هانز رايشنباخ:** نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكرياء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، 1977.

25- **يمنى طريف الخولي:** فلسفة كارل بوبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، دون طبعة، 1989.

26- **يمنى طريف الخولي:** فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت، دون طبعة، 2000.

27- **يوسف كرم،** تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1986.

د- **قـــــــــــــــائمة الموسوعات الفلسفية:**

1- **أندريه لالاند:** موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثانية، 2001.

2- **الحاج كميل موسى:** الموسوعة المسيرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، الطبعة الأولى، 2000.

3- **موريس شربل:** موسوعة علماء الفيزياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1991

ه- قائمة المعاجم الفلسفية:

1- **جميل صليبا:** المعجم الفلسفي (الجزء الأول)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

2- **جميل صليبا:** المعجم الفلسفي (الجزء الثاني)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

3- **جورج طرابيشي:** معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1983.

4- **جورج طرابيشي:** معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيوت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1987.

و- قـــــــــــــائمة المجلات:

1- **د رافد قاسم هاشم:** إبستمولوجيا المعرفة العلمية عند باشلار، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل، 2013.

الفـــهرس

الفـــــــــــــــــــــهـــــــــــــــــــــرس:

مقدمة..أ

الفصل الأول:الإبستمولوجية الباشلارية ومظاهر فلسفة التفتح فيها.

تمهيد..08

المبحث الأول: الإبستمولوجية الباشلارية.

أ- مفهوم الإبستمولوجيا...09

ب- الإبستمولوجيا الباشلارية..11

المبحث الثاني: أهم المبادئ الابستمولوجيةعند باشلار

أ- مفهوم الإبستمولوجيا التكاملية...17

ب- مفهوم الحقيقة...18

ج- مفهوم الواقع...21

المبحث الثالث: الفلسفة المفتوحة عند باشلار..............................25

خلاصة...32

الفصل الثاني: التحليل النفساني للمعرفة العلمية الموضوعية عند باشلار.

تمهيـــــــد...34

المبحث الأول: عناصر التحليل النفساني الباشلاري........................35

المبحث الثاني: الموضوعية العلمية والتحليل النفساني.....................42

أ- العوائق الإبستمولوجية...45

ب- القطيعة الإبستمولوجية..50

خلاصة.....55

الفصل الثالث: العقلانية التطبيقية و أهم مميزاتها.

تمهيد.....57

المبحث الأول: مفهوم العقلانية التطبيقية الباشلارية.....58

المبحث الثاني: العقلانية التطبيقية في مقابل العقلانية النقدية.....66

المبحث الثالث: إمتدادات العقلانية الباشلارية في الابستمولوجيا المعاصرة (العقلانية البلانشية نموذجا).....73

خلاصة.....78

خـــــــــــــــاتمة.....80

قائمة المصادر والمراجع.....84

فهرس المواضيع.....89